دراسات وبحوث

مهرجان ربيع الشهادة
الثقافي العالمي الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

وجوه
دراسات
مهرجان ربيع الشهادة
الثقافي العالمي الثامن

دراسات وبحوث مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي الثامن
اشراف: اللجنة الإعلامية للمهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي:
علي كاظم سلطان، عقيل عبدالحسين الياسري
اعداد وتحرير: أحمد صادق حسن، لؤي عبدالرزاق فرج الله
التدقيق اللغوي: هاشم علي الصفار
التصميم والإخراج: محمد قاسم عرفات، رائد عبدالأمير الأسدي
المطبعة: دار الضياء – النجف الأشرف

إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة

المحتويات

قراءة في المحاور المطروحة من اللجنة المشرفة على مهرجان ربيع الشهادة الثامن	٩
الثبات والمضي على المبدأ في عاشوراء قراءة في المنظومة الاخلاقية	١٥
المسؤولية الاجتماعية عند الإمام الحسين عليه السلام	٢٧
الشهادة الحسينية هي عنوان الخلود لملحمة كربلاء	٥٥
الإمام الحسين عليه السلام يهدي إلى الحق ويدعو إلى العدل	٦٧
ثورة النبوة على يد الحسين عليه السلام	٧٣
القراءة المعكوسة الاستنباط التاريخي الافتراضي	٨١
أصحاب الحسين عليه السلام	٩٩
الشعائر الحسينية وواقع الحال فيها	١٢١

قراءة في المحاور المطروحة من اللجنة المشرفة على مهرجان ربيع الشهادة الثامن

السيد محمد طاهر الجزائري الموسوي

من مواليد بغداد ١٩٦٨

دخل الحوزة العلمية عام ١٩٩٢ وهوالآن

يدرس البحث الخارج

كتب تقريرات لبعض أساتذته وله بحوث

علمية في الأصول والفقه ولديه حلقات

درس وتحصيل في النجف الأشرف . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين..

في البداية نحاول أن نبتعد عن القراءات التأملية وذلك بتصفح بعض الروايات وسأقتصر لضيق الوقت على بعض ركائز البحث بإثارة بعض الروايات.

وهنا يأتي تمهيد هو أشبه بالتذكير تيمناً وتبركاً وسنحاول أن نسلط الضوء خلال هذا التمهيد على الفترة الزمنية من عمر الإمام الحسين عليه السلام وهي الفترة التي تمتد من ساعة مولده الشريف إلى واقعة الطف حتى يتضح من التدبر في بعض ما ورد في تلك الفترة الكثير من الجوانب التي أراد الرسول صلى الله عليه وآله وكذلك الأئمة عليهم السلام إبرازها وإصلاح ما يمكن إصلاحه من ذلك الواقع.

فنقول: المعروف أن الإمام الحسين عليه السلام استشهد في سنة ٦١ للهجرة فتكون مدة عمره ٥٦ سنة وأشهراً كان منها مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنوات وأشهرٍ وكان مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة جده ٣٠ سنة وكان مع اخيه الحسن عليه السلام بعد أبيه ١٠ سنين وبقي بعد أخيه الحسن عليه السلام إلى يوم استشهاده ١٠ سنين.

فيمكن تقسيم عمر الإمام الحسين عليه السلام إلى مراحل أربعة:

المرحلة الأولى: ما عاشه في كنف ورعاية جده المصطفى صلى الله عليه وآله وتمتد من مولده المبارك في الثالث من شعبان في عام الخندق سنة ٤ للهجرة ومميزات هذه الفترة أنها مفعمة بالعواطف حيث امتزجت الفرحة بالبكاء والحزن كما تشهد بذلك

جملة من الأخبار، حتى أن هناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: **(لما حملت فاطمة بالحسين عليه السلام جاء جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن فاطمة ستلد غلاماً ستقتله أمتك من بعدك فلما حملت فاطمة بالحسين كرهت حمله وحين وضعته كرهت وضعه)**، يعلق الإمام الصادق عليه السلام في رواية أخرى: **(هل رأيتم في الدنيا أمّاً تضع غلاما فتكرهه)**، هكذا كان الجو مفعماً وإلى غيرها من الروايات. ولكن لم يترك التصريح بإمامة الإمام الحسين عليه السلام ومظلوميته وهذا يظهر جلياً في المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: وهي ما عاشه الحسين عليه السلام بعد جده مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وتتسم هذه المرحلة بالحزن والصبر على المصائب والمحن ومداراة الاعداء تقية ومخافة من الفتن بعد أن اتضح الانحراف في الأمة عما جاء به النبي صلى الله عليه وآله، أما الحزن فلفقد النبي صلى الله عليه وآله وفقد الزهراء عليها السلام ففي رواية كان ينفض يده من تراب قبر الزهراء عليها السلام فهاج به الحزن فسالت دموعه على خديه فحول أمير المؤمنين عليه السلام وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: **(السلام عليك يارسول الله السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك والبائتة في تراب بقيعك إلى أن قال.. قد قلَّ يارسول الله عن صفيتك صبري وضعف عن سيدة النساء تجلدي إلا أن في التأسي لي بسنتك والحزن الذي حلّ بي لفراقك موضع التعزي)**، هكذا كان حزن أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك المداراة للأعداء بعد رؤيته لذلك الانحراف، ففي رواية أن الإمام علياً عليه السلام قال: **(العجب لقوم يرون سنة نبيهم تتبدل وتتغير شيئاً شيئاً وباباً باباً ثم يرضون ولا ينكرون بل يغضبون ويعتبون على من عاب عليه وأنكره ثم يجيء قوم بعدنا فيتبعون بدعته وجوره وأحاثه ويتخذون أحداثه سنة وديناً يتقربون بها إلى الله)**، مع هذا كله لم يترك أمير المؤمنين عليه السلام الإشارة إلى

مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وإلى إمامة الحسين وإلى أحقية الحسين عليه السلام.

المرحلة الثالثة: هي ما عاشه مع الإمام الحسن عليه السلام ومن مميزات هذه المرحلة اشتداد الفتنة حتى بين خلص الشيعة حتى وصل الأمر أن قيل للإمام الحسن عليه السلام: (يا ابن رسول الله لِمَ داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟)، فقال لهم الإمام الحسن عليه السلام بما مضمونه: **(انني إذا كنت إماماً من قبل الله فلا ينبغي أن يسفّه رأيي)**، وهذا هو الحال أن وصل الأمر أن يُقابل الإمام الحسن عليه السلام بهذه الجسارة، وكان الحسين عليه السلام يشهد هذه المظلومية، حتى جابهه في إحدى المرات قيس بن سعد في كلام سيء عن الحسن عليه السلام، فقال له الحسين عليه السلام: **(يا قيس إنه إمامي)**، وفي هذا الجو الذي يغلب عليه الانحراف لم يترك الإمام الحسن عليه السلام الإشارة إلى أمرين هما إمامة الحسين عليه السلام ومظلوميته.

وصل بنا الأمر إلى **المرحلة الرابعة:** وقد عاشها الإمام عليه السلام وحيداً بعد فقده لجده وأمه وأبيه وأخيه، ومن مميزات هذه المرحلة هو ما أشارت اليه السيدة زينب عليها السلام حين رأت الحسين عليه السلام يحتسب نفسه احتساباً، حيث قالت: **(واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن)**، هذا ما كان يمثله الحسين في هذه المرحلة، وقد أجاب الحسين عليه السلام بقوله: أنه **(لو تُرك القطا لنام)**، إشارة لشهادته، وتكررت منه عليه السلام الإشارة في كلمات كثيرة إلى شهادته ومظلوميته في أبواب كثيرة من الكتب الروائية وعلل خروجه من المدينة ومكة بأجوبة هي أقرب ما تكون بنعيه لنفسه، أو إن جده أخبره بذلك، أو إن ذلك من مشيئة الله تعالى **(شاء الله أن يراني قتيلاً وأن يراهن سبايا)**.

ومحصلة هذه المقدمة أن الأئمة عليهم السلام أكدوا على أمرين: **الأول**: كون الحسين عليه السلام إماماً. **والثاني**: كون الحسين عليه السلام مظلوماً شهيداً.

والتأكيد على هذين الأمرين إنما يدل على أنهم ليسوا طالبين للدنيا وزخرفها، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى كلماته **(ليس للدنيا خلقنا)**، وفي رواية أخرى **(ما خلقنا إلا للبلاء)**، فيتضح جلياً أن طلب الإمام الحسين عليه السلام وطلب الإمام الحسن عليه السلام لمنصب الإمامة وان كان ظاهرياً لا لأجل الدنيا لأنهم لم يؤثروا هذه الدنيا الفانية، وما موقف المباهلة من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وتعريض أهل بيته للبلاء إلا تأكيداً للدين، عدا هذا انطباق ما في صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام كما ورد في الآية الكريمة ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقى * إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى * صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى﴾[1]، وينطبق على الحسين عليه السلام مضمون الآية ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾[2]، والشاهد على هذا التطبيق روايات كثيرة ففي جملة كلام لأمير المؤمنين عليه السلام **(ياقوم ادعوكم إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه وإلى ولي أمره وإلى وصيه ووارثه من بعده فاستجيبوا لنا واتبعوا آل ابراهيم واقتدوا بنا)**، وفي كلام آخر **(أفترغبون عن ملة ابراهيم)**، اشارة إلى الآية ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾[3].

من هذا يتبين أن تركيز أهل البيت عليهم السلام على مظلومية وشهادة الحسين عليه السلام، وعلى كونه اماماً، وهذا احياء للشريعة، احياء لجميع الاديان، ولشريعة

---

(١) سورة الأعلى، الآية (١٦-١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٦٨).

(٣) سورة الحج، الآية (٧٨).

ابراهيم عليه السلام، وبالتالي إن تتم هذه المخاطبة مع بقية الاديان، حيث إن من أهم مقاصد الإسلام أنه جاء مصدقاً لما اتى به الأنبياء عليهم السلام، وما أحوجنا الآن إلى هذا الخطاب، وما أحوجنا أن نعمِّم ملة ابراهيم عليه السلام، وتعاليم ابراهيم عليه السلام بين البشر أجمع، وقد كان قوله وفعله مطابقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله، ومصدقاً لجميع المرسلين عليهم السلام.

وبناءً على ذلك يتضح إن الاشارة إلى تطبيق ملة ابراهيم عليه السلام وما يقتضيه العقل وما يتفق مع دعوة الأنبياء هو من مميزات ثورة الحسين عليه السلام، كما أن الجانب المقابل كان يمثل الدنيا، ومن هذا البيان يتضح أن ما قاله الإمام الحسين عليه السلام **(الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم)** إشارة إلى ذلك، وهو يريد من لفظة (الدين) مطلق الدين ومطلق ما ترتضيه العقول، إلا أنه دين ثابت في فترة وجيزة، وذلك من خلال التذكير بدين ابراهيم عليه السلام أبي الأنبياء عليهم السلام، وكل ذلك من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن يقال: إن تركيز أهل البيت عليهم السلام كما تقتضيه الروايات على مطلب الإمامة والمظلومية بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام إنما لكون الإمام الحسين عليه السلام هو الرابط بين إمامة الإمام الحسن عليه السلام والأئمة الذين جاؤوا بعده..

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين...

الثبات والمضي على المبدأ في عاشوراء قراءة في المنظومة الاخلاقية

فضيلة الشيخ غزوان الخزاعي، وهو من مواليد ذي قار ١٩٧١م، التحق بالحوزة العلمية في النجف الأشرف في مقتبل عمره عام ١٩٩٤م، وقد انتهل من نمير نعيمها متقلباً في حلقات درسها في أجواء يسندها طلب العلم ويكدرها عناء الظالمين، منتهياً به المطاف في أروقة البحث الخارج على يدي أساتذة الحوزة المبرزين، ولايزال مهتماً بالتدريس بحلقات السطوح العليا، كما إن له ممارسات بحثية في مجالات مختلفة علمية وفكرية وغيرها.

إذا ما تتبعنا القضية في مقدمة نقول فيها: لابد من إيضاح مقدمة اختيار المنظومة الأخلاقية والتي تمثل المحور الأول لحديثنا. أما المحور الثاني، هو محاولات تطبيقية لما نحاول أن نؤسس في المحور الأول، والذي سوف نمر عليه مروراً سريعاً ما أمكن ما نؤسسه. في المحور الأول نحاول أن نشير بإشارات سريعة لكلمات في التراث الإسلامي، ولاسيما في واقعة عاشوراء المتمثلة بأشخاصها المقدسين من الحسين (صلوات الله عليه وسلامه عليه وآله الميامين)، كما يتمثل بأصحابه، كذلك عنصر بارز لكثير من التطبيقات لهذا البحث.

المحور الأول: وهو أن هذا البحث ولو كان في المنظومة الأخلاقية، ولكنه يتعرض إلى قيمتين اخلاقيتين، هما الصبر والشجاعة، ونحاول من خلال هذا البحث أن نمارس عملاً تحليلياً، فإذا هو يتناول المنظومة الأخلاقية، وتأثير الأخلاق في الإنسان، كما يتناول محاولة لاتخاذ عاشوراء معلماً تطبيقياً، لكنه من دون اختزال للفضاء العاشورائي الرحب في خصوص هاتين القيمتين الأخلاقيتين.

نقول: ما يصدر عن الإنسان يكون على نحوين الفعل غير الإختياري، مثلاً عند تسليط الضوء على عين الإنسان (البؤبؤ) نراه يتأثر كما أنه يتأثر ويستجيب لمحفز ضوئي، فهذه الاستجابة هي استجابة غير اختيارية للإنسان، اذن هنالك سلوكيات تصدر من الإنسان هي سلوكيات غير اختيارية، والإنسان في هذه الجنبة لا يختلف عن غيره، فكذلك إذا سلط الضوء على بؤبؤ أي حيوان من الحيوانات سوف يستجيب البؤبؤ لهذا الضوء بانعكاس معين، كذلك جسم الإنسان إذا سلطت عليه مثلاً أو مسته النار فسوف يحترق، كما لو سلطت النار على الخشبة لاحترقت، إذن هنالك فعل غير اختياري وهو أثر تكويني، ومن هنا يمكن أن يكون الإنسان مشتركاً مع كثير من المخلوقات في خواصه الفيزيائية أو الكيميائية،

فيكون محوراً للبحث الكيميائي أو الفيزيائي أو ما شابه ذلك، فإذا الإنسان أخذ من حيث هو جسم يشغل حيزاً في الفراغ، هذا موضوع للفيزياء، وإذا أخذ الإنسان من حيث أنه يشكل معدوداً لعدد معين، فهو موضوع لعلم الحساب إلى أخره. اذن هنالك اشياء كثيرة يرتبط الإنسان من خلالها بالكون مناظراً غيره من المخلوقات والكائنات في استجابة غير ارادية، وهذا الذي أردنا أن نركز عليه.

أما الفعل الأخلاقي، فهو استجابة لابد أن تكون ارادية منتهية إلى غاية، وعلى ضوئها فعلاً نستطيع أن نقول إن الفعل الأخلاقي هو فعلاً لابد أن يكون اختيارياً وفي ذات الوقت له غاية ينتهي عندها. فإذا أخذنا مفاهيم كالصبر مثلاً أو الشجاعة أو الكرم والجود... إلى آخره، وإن الإنسان حينما يتحرك تحركاً ازاء فعل اختياري، مثلاً (أصحاب الحسين (صلوات الله عليه وعليهم) حينما خرجوا مع الحسين مارسوا فعلاً اختيارياً ولغاية محددة)، فإذن هو فعل أخلاقي، وصفه وتقسيمه معياراً وقيماً، هو فعل أخلاقي ايجابي، تقابله ممارسة أخرى في المعسكر المقابل، هي ممارسة اخلاقية من حيث التوصيف، سلبية من حيث التقييم، لأن الذين خرجوا لمقارعة الحسين عليه السلام ولمجابهة نهضته المباركة، إنما خرجوا باختيارهم، أي لم يفقدوا اختيارهم، لم يخرجوا وهم نائمون أو مرغمون، وإنما خرجوا رغبة ورهبة، ولكن الرغبة والرهبة لم تسلبهم اختيارهم، وبالتالي فعلهم ايضاً يكون فعلاً اخلاقياً، لكن هذا من حيث الوصف، ومن حيث التقييم فإن هذا الفعل بحسب المعايير الأخلاقية هو فعل أخلاقي سلبي.

إذن هو فعل أخلاقي سلبي، الإنسان حينما يأتي بالفعل الاخلاقي الذي قلنا له خاصيتان، **الأولى**: أن يكون فعلاً اختيارياً، والثانية: إن ينتهي لغاية حينما يقوم بهذا

الفعل الاختياري بأي خلفية، وعلى أي ركيزة يرتكز في تحركه، لنأخذ مثلاً بسيطاً، الإنسان إذا أصيب بالظمأ (العطش) هذا محفز فيشعر بالألم (ألم العطش) وعدم الارتياح، فيتوجه باتجاه الماء، يأخذ قدح الماء ليروي ظمأه، إذن هنا محفز واختيار مع غاية، وهو فعل اخلاقي، يترتب على هذا أن يكون هذا السعي باتجاه قدح الماء يمكن أن يكون فعلاً اخلاقياً إذا انتهى لغاية، فالإنسان الذي يأخذ قدح الماء ليسقي الآخرين يمكن أن يكون فعلاً اخلاقياً لأنه اختياري وله غاية فهو أخلاقي.

السؤال الذي ينبغي أن يطرح: ما هي الأشياء التي تؤثر على الإنسان في اختياراته؟ لأن سؤالنا كان هكذا وموضوعنا يتحدث عن المنظومة الاخلاقية فلابد من الالتفات لذلك.

لأخذ هذا المثال الذي ذكرناه، نقول: إن الإنسان إذا أصيب بالعطش، سيتوجه لأخذ قدح الماء، لأنه يعتقد أو يتصور، يعلم، يتيقن - وهذه المفردات سوف نمر عليها سريعاً إن شاء الله تعالى - لأنه يعتقد أن الماء يروي ظمأه، ولذا ممكن للإنسان أن يتجه باتجاه القدح فيتبين له إنّ ما في القدح ليس ماء، إنما هو سائل يضره، يمتنع بمجرد أن يعلم ذلك، إذن الإنسان في اختياراته وتصرفاته وسلوكياته وأفعاله الاخلاقية هو مهتم غاية الاهتمام، وينطلق عن غاية، يرسم هذه الغاية ويؤثر فيها تصوره واعتقاده، إذا الإنسان اقبل على شراء سلعة من السوق، فإذا سألته لماذا أنت تشتري هذه السلعة بهذا الثمن؟ فماذا يكون جوابه؟ فيقول: إن هذه السلعة مفيدة لي، وأنا أنتفع بها، هذا الجواب إذا أردنا أن ندقق به، فهو الجواب الدقيق، لأني أعلم، لأني أتيقن، لأني أعتقد أنه ينفعني.

فإذن علم الإنسان وتربيته، وما يحمله في نفسه، في ذهنه، في روحيته، هذه التصورات هي التي تؤثر على قراراته واختياراته، فإذا الإنسان نظر إلى الإمام

الحسين عليه السلام، فرآه كما وصف هو نفسه عليه السلام في بعض خطبه حينما خرج إلى المعركة، وصف عليه السلام نفسه بكلمات، من ضمن الذي ذكره أنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وانه وصفه الرسول صلى الله عليه وآله وأخاه الحسن عليه السلام انهما سيدا شباب أهل الجنة.

اذا الإنسان يعتقد بهذا الاعتقاد، فإن انطباعه وتفاعله مع الحسين عليه السلام يختلف عن الشخص الذي يعتقد أن الحسين عليه السلام مجرد شخص خرج على إمام زمانه، وانه خرج يطلب السلطان، هذا الذي يعتقد بأن الحسين عليه السلام بهذه الصفة، من الطبيعي أن تكون تصرفاته ازاء الإمام الحسين عليه السلام على شاكلة تختلف عن الشخص الذي يعتقد أن الحسين عليه السلام صورته صورة أخرى.

إذن ما تحمله أيها الإنسان في ذاكرتك، وفي ذهنك، هذا هو الذي يحدد معالم تصرفاتك واستجاباتك وانفعالاتك وسلوكياتك، هذا الذي يحدد اعتقادك، ولذا الإنسان كلما كان اعتقاده بالحسين عليه السلام اعتقاداً في دائرة معينة، وفي عمق من جهة أخرى، كلما كان عمله وسلوكه له منحى خاص.

شخصان يتجهان إلى مكان واحد، لكن أحد هذين الشخصين ما الذي يعتقده في هذا المكان هو الذي يبتغيه، وشخص آخر له اعتقاد ثانٍ، إذا مبتغاه شيء، أما فعلهما ممكن أن يكون فعلاً صامتاً، لا تستطيع أنت ترجمته وتقول: (كلا هذين الشخصين يتجهان بهذا الاتجاه)، أما لماذا؟ فهذا الإنسان أعرف بنفسه به، هذا التوجه هو نتيجة ما يحمله الإنسان من تصورات وقيم اخلاقية، إذا أقبل الإنسان، أقبل في معركة نتيجة ممارسته للمعركة، واعتياده على هذا الجو، تتولد لديه قناعات، وهذه القناعات هي التي تجعل منه شخصاً شجاعاً، بخلاف الإنسان الذي لايمارس الحروب والمعارك، يمكن أن يكون في أرض المعركة سلوكه سلوكاً مختلفاً.

فمن هنا إذن، السلوك الاخلاقي هو متأثر بمنظومة من القيم تحتم على الإنسان سلوكاً معيناً، لذا نأخذ بعض التعابير التي وردت في النصوص، ليس إن الماء ينفع أو لاينفع هو الذي يحركني اليه، إنما اعتقادي بنفعه، ولذا إن الإنسان يعتقد بشيء ويتحرك اليه، ثم يتبين أن هذا الشيء ليس كما يعتقد، فيتغير سلوكه وتصرفه، ومن هنا نجد تعابير وردت في كثير من النصوص الإسلامية، وقد اهتممت كثيراً في متابعة نهج البلاغة، فقرات مثل هكذا تعابير في نهج البلاغة.

لنبتدئ مع القرآن الكريم ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[1] (أي لا تعرف كيف تصبر)، إذن المعرفة تؤثر على صبر الإنسان وسلوكه وأخلاقياته، في وصف لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في نهج البلاغة حينما يذكر النبي ﷺ، يقول: (قد حقر الدنيا وصغرها وأهون بها وهونها وعلم أن الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها عن نفسه)، هذا نص فيه تركيز، وما زال الحديث متواصلاً مع نهج البلاغة حينما يصف أمير المؤمنين عليه السلام المتقين، يقول: (عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون)، وفي نص آخر من نهج البلاغة واقتبس منه، يقول عليه السلام في وصف المتقين: (فإذا مروا بآية تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا وظنوا أنها نصب أعينهم وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع القلوب وظنوا أن شهيق جهنم وزفيرها بأصول آذانهم)، وفي اقتباس آخر: (إن من حق من عظم جلال الله سبحانه وتعالى في نفسه وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظيم ذلك)، وفي اقتباس آخر: (من أيقن بالخلف جاد بالعطية).

---

(١) سورةُ الكهف (٦٨).

من هنا جاءت الممارسة القرآنية في كثير من الآيات القرآنية، هي ممارسة محاولة توثيق العلاقة بين الفعل وجزائه في صور فنية متعددة ذات أثر دلالي مميز، ولكنه بطبيعة الحال مجرد علم الإنسان لا يجدي ما لم يكن هذا العلم مرتكزاً بالنفوس، مشكلاً قناعة تامة، وهو ما تولده التربية، لأن التعليم أن يعلم الإنسان بالشيء، والتربية هي زيادة عمق العلم بهذا الشيء، ولذا جاءت الكثير من التعابير، إذا مجرد العلم لا يؤثر، ومن هنا إن هذا الأثر هو لابد أن يكون صدى لممارسة تربوية لا محض التعليم، ومن هنا جاءت التعابير الترغيب الترهيب.

محاولة الترغيب ليست مجرد اعلام فهي محاولة تمرين وتدريب، جاءت تعابير الترغيب والترهيب والتزيين والاغراء والتقرير (بمعنى تقرر قلبك الفناء) والتذليل والإحياء (أنه أحيي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة وقرره الفناء)، فجاءت هذه التعابير التي قرأناها هي ذات حضور فاعل في الحقل الدلالي في النصوص الإسلامية، ومن هنا نقول إن الدين هو محاولة بناء رؤية جديدة أو اقرار ما هو صحيح (بناء رؤيا جديدة للإنسان)، أو اقرار ما هو صحيح من رؤاه، إن الدين هو محاولة بناء رؤيا جديدة أو اقرار ما هو صحيح، ومن هنا نرى أن مقولة (إن الدين هو إعادة النفس البشرية إلى ذاتها) فهي اعادة من خلال رسم الأشياء بصورها الحقيقية، وإسقاط الزيف عنها، ومحو التشوهات الطارئة، إن هذه المقولة، وهي (إن الدين هو محاولة إعادة النفس البشرية إلى ذاتها) هذه مقولة صحيحة، فنرى تسليط الضوء في كثير من الآيات على مفاهيم كالإنسان والكون والله والدنيا والآخرة والعبادة والحج وصلة الرحم، ما هي تصورات الإنسان عنها؟ الدين يحاول أن يرسم هذه التصورات، ولذا نرى نهج البلاغة أكثر من ذكر الدنيا ووصفها بأوصاف خاصة، محاولة رسم صورة جديدة للدنيا

في ذهن الإنسان، خلافاً لما يعتقده فيها فهي إذن إزالة.

فإذن هي محاولة بناء للإنسان، ولذا فحتى قضية الغيبة حينما تذكر في القرآن بقوله ﷻ ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1]، تشبيه الشخص الذي يغتاب بالميت، محاولة لرسم انطباع سلبي عند الإنسان عن هذه الممارسة، بينما في مقابل هذا ممارسة أخرى لرسم الغيبة بعنوان أنها فاكهة، فإذن التصوير هو محاولة تزيين، فمن هنا يكون مدخل الشيطان في قبالة مدخل الدين، إذن هذه هي المحاولة، محاولة الدين هي محاولة ازالة الركام واستثارة لدفائن العقول، وقد ورد في نهج البلاغة ما يقرب من هذا المعنى (ما يستثيرون به دواء دائهم)، فإذن لو أخذنا منحاً تطبيقياً للفكرة، فما هو تصورك عن القرآن؟ نجد أن الصورة القرآنية ترسم عن القرآن بأنه الكتاب، وأن ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين، وفي كلمة وما يزال الحديث اقتباساً عن أمير المؤمنين عليه السلام: **(تعلموا القرآن فإنه إحسن الحديث وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فأنه شفاء الصدور وأحسنوا تلاوته فأنه أحسن القصص)**، هذه الصورة هي وحي الله الذي ينزل على الإنسان، وحينما يقرأ الإنسان القرآن، الله ﷻ يخاطبه من خلال القرآن، **(إذا اردت إن تتحدث إلى الله فأدعه وإذا أردته أن يتحدث اليك فاقرأ القرآن)**، إذا هذا هو القرآن. لكن في مقابل هذه النظرة للقرآن، وما زلت اطبق إن هنالك مقابل هذه النظرة نظرة للكفار عن القرآن بانه اساطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات، الآية (١٢).

(٢) سورة الانعام، الآية (٢٥).

إذن انطباع الصورة الحقيقية عن القرآن تلك التي يصورها القرآن ونهج البلاغة، في قبال هذه الصورة توجد صورة عند الكفار، إذن من خلال التصوير ينفذ إلى الإنسان ويؤثر على سلوكه، حتى الخطب التي قالها الإمام الحسين عليه السلام، ماذا يعبر عنها؟ هو كلام يصدر عنه (صلوات الله وسلامه عليه)، لكن هذا الكلام يقول: **(أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعضكم بما يحق لكم عليّ وحتى اعذر اليكم)**، أمام هذه الخطبة التي هي موعظة ومحاولة لإحياء القلوب، في المعسكر المقابل هنالك (شمر بن ذي الجوشن)، هكذا كما في النص الذي اقتبسته عن الإرشاد، فقال له شمر بن ذي الجوشن: «هو يعبد الله على حرفٍ إن يدري ما تقول»، إذن حتى في هذه الخطبة البليغة التي تتحدث عنها الكتب التاريخية ويذكرون فيها بلاغة الإمام الحسين عليه السلام هي في حقيقتها موعظة. في تصوري: شمر بن ذي الجوشن أو ادعاؤه هذا التصور، إنها كلمات لغو لا يفهم لها معنى و«انه يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول» مخاطباً الحسين عليه السلام ببلاغته ومنطقه السماوي. وحتى الحسين عليه السلام هو يمكن أن تؤخذ شخصيته مجالاً للتطبيق، وبطبيعة الحال إذا ما كان يقتضيه التطبيق، إن من ينظر إلى الحسين عليه السلام بأنه **(سيد شباب أهل الجنة)**، يختلف عن من ينظر إليه على أنه (خارج على إمام زمانه).

وفي نموذج تطبيقي آخر قال هكذا الحسين عليه السلام حينما عرض عليه موقف، ولا نسميه بموقف معين، الآن الاسم بحسب الموقف الاخلاقي، ويجب أن نعبر بتعبير حيادي، نعبر عنه حينما طلب منه أن يضع يده بيد أولائك، قال له قيس ابن الاشعث: «ما ندري ما تقول ولكن انزل على حكم بني عمك»، فحينما يضع الإمام الحسين عليه السلام، حسب تقييم قيس ابن الاشعث، يده في يد بني أمية، بيد السلطان، فهو مجرد نزول على حكم من هو قريب لك في رحمك، كأنها قضية

عشائرية يمكن أن تحل، (هذا ابن عمك ولا فرق بينكما) هذا تقييم، وهذا الذي نجرؤ فنسميه استسلاماً، وللحسين عليه السلام تعبيره، يسميه قيس ابن الاشعث (هذا نزول عند حكم بني العم)، بينما يراه الحسين عليه السلام حينما يجيبه يقول: **(لا والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد)**، نفس الموقف منظور الحسين عليه السلام أنه فرار عبيد، وهذا الموقف يقيمه الحسين عليه السلام على أنه استسلام وإعطاء يد الذلة، **وهيهات منّا الذلة**، قالها صلوات الله وسلامه عليه، بينما يراه قيس ابن الأشعث موقف اخلاقي جيد حينما يضع يده بيد بني عمه، كما يسميه.

كما عرض البحث إلى الصبر كقيمة من خلال الروايات والآيات القرآنية، فهو للإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وأنه نعم الخلق كما في نهج البلاغة: **(وعود نفسك التصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر في الحق)**، وفي بعض الروايات الأخرى أنه علاقة العقل، وفي كثير من الروايات وردت تصويرات وأوصاف معينة إلى الصبر، وكذلك هو الحال، وكذلك وردت روايات في الشجاعة والحث عليها، وتعرضنا لبحثها بما لايتسع المقام، وأما الحماسة التي هي نوع من محاولة التشجيع وآثاره الغيرة في النفوس لخوض المعارك، فكان فارس مضمارها أمير المؤمنين عليه السلام، ونهج البلاغة يكاد أن ينقسم إلى تزهيد بالدنيا وبث للحماسة في النفوس لخوض المعارك في سبيل دين الله تعالى، وهذا ما نعرض عنه أيضاً لاشك إنها معايير اخلاقية، فإذن إلى الآن المعايير الأخلاقية هي المؤثرة.

المحور الثاني: وهو محاولة التطبيق، وقد طبقناها في الجملة ضمناً، بعض الروايات والمواقف في نفس تحليلي، وحاولنا أن نواكب ما أنتهجناه من منهج وعليه، ثم بعد ذلك نثير نقطة وهي إن الثبات على موقف والشجاعة والمضي، عبرنا بهذا التعبير الثبات على الموقف والمضي على المبدأ والمضي في سبيل المبدأ،

فإذن هو ثبات ومضي، هو صبر وشجاعة، والثبات يقتضي أن هنالك عناصر ضغط يقابلها الإنسان بالثبات تحاول أن تزعزعه، والمضي يشير لوجود عناصر تحاول أن تكبل الإنسان عن الحركة، فالإنسان في حركة وهو المضي وأبرز معالمها الشجاعة، في سكونٍ وثبات أبرز معالمها الصبر، إذن من هنا جاءت الشجاعة والصبر لتأتلف في موقف المضي والثبات.

ثم تعرضنا للحماسة والمأساة في قضية الحسين عليه السلام، ثم تعرضنا لإشارة لعناصر الضغط التي كانت تجابه الحسين عليه السلام، ثم خلصنا إلى أن للشهادة مدرسة لها إرثها الخاص، ولهذه المدرسة إرثها الخاص من حيث الفكر والقيم والمبادئ والخلقيات المعينة، فهي روح الشهداء تسري في دماء كربلاء، روح قوامها الصبر والشجاعة والإباء والحمية والدفاع عن الدين، وأي عزة كهذه العزة.

إذن حينما تكون للإنسان انفةٌ وعزةٌ وشجاعةٌ، لاشك أن هذا الإنسان الذي يكون فيه من الانفة المقدار الكبير، يكون إنساناً شجاعاً وأظمأه شوقٌ إلى العز لم يزل لورد حياض الموت بالصيد حاديا فصمم لا مستعدياً غير همة تفل العضب الجراز اليمانيا.

وأي عزة كهذه التي كساها رب العزة أولياؤه، خصلة حبأهم بها الدنيا هي التي ربما تمنح بها فيها البر أو الفاجر، واما العزة فهي أغلى وأثمن فلا يتحف سبحانه بها إلا صنف من الخلق ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، وإذا ما اعتمرت النفوس حلتها عزة وكرامة صدحت منطقاً هادراً التحدي لحمته والطمأنينة سداه، ويقابل المنطق لاشك منطق الحق والشجاعة، ويقابل المنطق منطق آخر مقابلة الخصمين الإيمان والكفر.

إذن هي مفارقة توقظ العقول من سباتها تلك التي يحدثنا عنها القرآن في

حديثه عن سحرة فرعون - أنصار موسى لاحقاً - حينما كانوا جنداً لفرعون كان منطقهم: ﴿وَقالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ﴾[1]، قسم بعزة فرعون، ويقين بالغلبة، هنا القسم بالعزة واليقين بالغلبة، عزة فرعون المقدسة حد القسم مقدسة عندهم، لكنها هي لحظات حيث اليقظة والإنابة، وحين يرجع الإنسان إلى إنسانيته فلابد أنه منطق جديد مايصدر عنه، ولاحظوا جوابهم لاحقاً حينما تغير الموقف ﴿فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾[2]، كانت العزة لفرعون واليقين بالغلبة لعسكره، لكنه محض زيف بهذه الدنيا ببهرجتها أظغاث أحلام تبددها اليقظة وانتفاضة الضمير حين يستفيق.

وتعيد الحياة دورتها، فعلى تراب كربلاء المشهد يتكرر، يتبدل الزمان والمكان والأشخاص غير الاشخاص، لكنها المشهد ذاته، فهذا (الحر الرياحي) - لم أسمه الحر إنما عبرت عنه - فهذا الرياحي الذي في مهب الريح تقيمه كلمة وتقعده أخرى حينما تصدر من فم السلطان، حيث المنطق عبد مأمور، ولكنه لحظة التخيير تلك التي يضطرب لها، التي قد تأول إلى انقلاب الكيان في ارتعاب وارتعاش، لحظة ولادة الإنسان ومنطقه الجديد، وعلى أقل تقدير هذا ما كنت أريد أن أقوله، ولكنه موقف عظيم ذاك الذي وقفه الحسين عليه السلام، فكان كما قال الشاعر اللبناني:

يمشي على الموت تياهاً كأن به ... من الألوهة سراً ليس يخفيه

يمشي الهوينا وقتلاه تمجده ... كأن كل ما يرديه يحييه

يعلو على الغيم أحياناً وآونة ... يدنو فيصبح أدنى من معانيه

---

(١) سورة الشعراء، الآية (٤٤).

(٢) سورة طه، الآية (٧٢).

المسؤولية الاجتماعية عند الإمام الحسين عليه السلام

أ . د . البسيوني عبد الله جاد البسيوني
استاذ ورئيس قسم علم الاجتماع
كلية الآداب / جامع الزقازيق / جمهورية
مصر العربية
ألقاه نيابةً الأستاذ:
بسمان طالب هاشم سعيد الموسوي /
العراق

تحددت مشكلة هذه الرسالة في سؤال محدد: انطلاقا من كون المسؤولية الاجتماعية هي الاهتمام بالجماعة وبالأمة وبالمجتمع، ورد الحق لأهله، مهما كلفنا ذلك، فإن السؤال هو: إلى أي مدى يمثل الإمام الحسين عليه السلام، بثورته ونهضته، واجباً اجتماعياً ومسؤولية اجتماعية عن الأمة ليعيد لها كيانها ووحدتها ونقاءها على المحجة البيضاء تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بشكل إصلاحي للمجتمع؟

ومن مبررات الدراسة هذه أن الباحثين في الأحداث التاريخية التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام، يجب أن تخضع للدراسة العلمية المتسمة بالعمق والتحليل والتجرد من العواطف وسائر التقاليد المذهبية التي أوجبت خفاء الحق وتضليل الرأي العام.

في كثير من مناحي حياته العقائدية فإن التاريخ الإسلامي لم يدرس دراسة موضعية وشاملة، وإنما عرض له أكثر الباحثين بصورة تقليدية وهي لا تجدي المجتمع ولا تفيده، كما لا تلقي الأضواء على واقع تلك الأحداث التي جرت للمجتمع كثيراً من الخطوب والمشاكل، وأوقفت مسيرته نحو التطور حسب ما يريده الإسلام. إن الذي لا مجال للشك فيه هو أن في بعض تلك الأحداث كثيراً من المنعطفات التاريخية الخطيرة التي تعمد بعض المؤرخين على إهمالها وعدم الكشف عنها، كما أن التاريخ قد خلط بكثير من الموضوعات التي تعمد بعض الرواة الى افتعالها، تدعيماً لسياسة السلطات الحاكمة في تلك العصور، وهي مما توجب على الباحث التعمق والتدقيق فيها حتى يخلص إلى الحق مهما استطاع اليه سبيلا.

وثمة تساؤلات توجه هذا العمل، وأهمها: ما المسؤولية الاجتماعية وما أهميتها وأهدافها وآثارها على الفرد وعلى الجماعة وعلى الأمة؟ وما أهم مقومات المسؤولية الاجتماعية؟ وهل توافرت في الثورة الحسينية؟ وما مظاهر ذلك؟ وما المستفاد منها؟

وفي ضوء هذه التساؤلات أمكن الاستناد إلى مجموعة متنوعة من الدراسات والبحوث والمقالات المنشورة ورقيا وإلكترونيا على شبكة المعلومات الدولية وتحليلها للإجابة على هذه التساؤلات والتوصل إلى هل لمشكلة هذه الدراسة.

وعلى هذا الأساس تنقسم هذه الدراسة لما يلي:

اولاً: مفهوم المسؤولية الاجتماعية وأهميتها وأهدافها وأثر تحقيقها.

ثانياً: مقومات المسؤولية الاجتماعية ومدى تضمنها في الثورة الحسينية.

ثالثاً: الإستفادة من ثورة وسيرة الإمام الحسين عليه السلام كرائد للمسؤولية الاجتماعية.

وذلك على النحو التالي:

اولاً: مفهوم المسؤولية الاجتماعية وأهميتها وأهدافها واثر تحقيقها

يشجع الإسلام على المسؤولية الاجتماعية، فالإسلام بشريعته هو دين المسؤولية الاجتماعية، وقد أمر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه في آيات عديدة على لسان نبيه صلى الله عليه وآله بالمسؤوليات الاجتماعية، ورتب عليها أجزل العطاء.

ولنتأمل هذه النصوص الشاملة للمسؤولية الاجتماعية، يقول ﷻ: ﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، وقوله ﷺ: **(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)**، ولنتأمل التشبيه العظيم من رسول الله ﷺ حيث قال: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)**، وجعل المجتمع كله في سفينة يجب اهتمام أفراده ببعضهم لسلامتهم جميعاً والنصح بينهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويعني ذلك أن المسؤولية الاجتماعية هي متطلب أساسي من آحاد الناس تجاه جماعتهم، لكي يقوى عضد الأمة، ولكي تتجاوز محنها، ولكي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لكي تكون فعلاً هي خير أمة أُخرجَتْ للناس.

ثانياً: مقومات المسؤولية الاجتماعية ومدى تضمنها في الثورة الحسينية.

تتحدد مقومات نجاح أي ثورة دينية في أن يكون لهذه الثورة التغييرية بعداً تخطيطياً ارتباطاً بالله ﷻ، وكذلك أن تكون مهتمة بالنواحي الفطرية التي فطر الله ﷻ الإنسان عليها، لأنها تعتبر أمراً ثابتاً في حياة الإنسان، وتبقى معه في مختلف الظروف التي يمر بها، فالبعد الإنساني لكل حركة إصلاحية يمكن معرفته من دراسة حركة الأنبياء، حيث نلاحظ وجود خصوصيتين فيها، **الاولى**: هي مقارعة الظلم ورفضه والدعوة إلى الحق والعدل وتحقيق الطمأنينة والإستقرار، **والثانية**: هي كرامة الإنسان وعزته وحريته الحقيقية والكمالات التي تجسد طموحه وآماله وتطلعاته في الحياة.

---

(١) سورة المائدة، الآية (٢).

(٢) سورة الحج، الآية (٧٧).

بالإضافة للبعد التخطيطي للثورة، فلا بد لنجاح كل ثورة من عقل يخطط لها تخطيطاً علمياً سليماً يتلاءم والسنن التاريخية ويسير بها لتحقيق أهدافها المنشودة، أما لو لم تشتمل الثورة على ذلك فإنها لا تعدو كونها مجرد انفعالات عاطفية ومشاعر وأحاسيس نبيلة. وقد تكون مجرد ردة فعل وتمرد وانعكاس للواقع السيئ فليست عملية تغييرية بناءة تهدف إلى العدل والتكامل الإنساني. فضلاً عن الجانب العاطفي الوجداني فيها، فهو الذي يمثل وقودها لأن مجرد الوعي والإدراك للواقع الفاسد وحده مع التخطيط وتشخيص الأهداف لا يحرك الإنسان، نعم يهديه إلى الطريق الصحيح ويبين له الدرب لكن الذي يمنحه الإندفاع والقدرة على التحرك إنما هو الجانب الوجداني، ولذا تحتاج الثورة إلى الأهداف والشعارات والمفاهيم والتخطيط وتحتاج أيضا الجانب الوجداني لتكون قادرة على الحركة والفاعلية وهو ينطلق دائماً من حب الإنسان لله سبحانه وتعالى.

كما يرتبط بذلك البعد الجماهيري، بحيث يكون للثورة وجود جماهيري وقاعدة شعبية في الأمة تتفاعل معها وتؤمن بنهجها وشعاراتها وأهدافها، فلا تكون في معزل عن فهم الجماهير ووعيها، ولذا تعتمد كل حركة إصلاحية في أي مجتمع على تهيئة قاعدة جماهيرية وإعدادها فكرياً ومعنوياً حتى يتحقق التفاعل المنشود.

ولكن هل توفرت هذه المقومات في الثورة الحسينية؟ في ضوء الأبعاد التالية:

البعد الأول: فتحققه في ثورة الإمام الحسين عليه السلام مؤكد وليس مقصودنا من ذلك أن الإمام الحسين عليه السلام كان مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى فحسب، وإنما نقصد بذلك أن التحرك بمجمله كان مرتبطاً بالأهداف الإلهية وإن القضية التي تحرك

الإمام الحسين عليه السلام في إطارها كانت ترتبط بالله سبحانه وتعالى وبالإسلام. ويستفاد ذلك من خلال ما جاء في وصيته عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية: (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام).

البعد الثاني: فواضح من خلال كلمات الإمام الحسين عليه السلام وخطبه، التأكيد على قضية رفض الظلم، فمن الشواهد على ذلك ما جرى بينه وبين أبي هرم، حيث قال له: يا بن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم جدك؟ فقال عليه السلام: (يا أبا هرم إن بني أمية شتموا عرضي فصبرت وأخذوا مالي فصبرت وطلبوا دمي فهربت وأيم الله ليقتلوني فيلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ويسلط عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة فحكمت في اموالهم ودمائهم).

فكان هذا الجانب الإنساني أحد الأبعاد والجوانب الإنسانية التي أكد عليها الإمام الحسين عليه السلام، وجعلها أحد الأهداف والمحاور الرئيسية التي دعته للتحرك، لأنه رأى الإذلال الذي أراد يزيد إلباسه الأمة والظلم الذي بسطه عليها، وقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام هذا البعد في موقف آخر من كلماته إذ قال عليه السلام: (لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)، وقوله عليه السلام: (ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وجذور طابت وطهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام).

البعد الثالث: وهو من النقاط المهمة التي قد يُغفَلُ عنها حتى أنه قد يُتَصَوَّرُ افتقاد حركة الإمام الحسين عليه السلام لهذا البعد اعتماداً على أن الإمام الحسين عليه السلام لما

كان يعلم بمصيره وبتلك النهاية المأساوية، ومصير عياله من السبي، فلم يكن مهتماً بمسألة التخطيط وبيان الهدف الذي من أجله قام بتلك النهضة، إلا أن دراسة السيرة الحسينية تأبى هذا التصور، وتمنع عنه، إذ يلحظ المتتبع أن الإمام الحسين عليه السلام كان يخطط لهذا التحرك بشكل كامل، كان عليه السلام شخص له القدرة على استلام الحكم من يزيد وإقامة الحكم الإسلامي.

ويتضح توافر عنصر التخطيط في الثورة الحسينية من خلال مواقف متعددة منها:

١. موقف الإمام الحسين عليه السلام من البيعة ليزيد لما طلب منه والي المدينة ذلك، حيث كان الإمام الحسين عليه السلام مخططاً لإعلان رفض ذلك، ولم يتخذ الأسلوب الذي اتخذه غيره، وهذا يتضح من خلال اصطحابه لجماعة بني هاشم، وكلفهم البقاء خلف الباب، فمتى ما ارتفع الصراخ اقتحموا الدار وأخرجوه، فضلا عن التخطيط لكيفية الحديث مع الوالي بداية ونهاية.

٢. التزامه عليه السلام في طريقه إلى مكة سلوك الطريق العام، ليعرف الناس جميعاً هذه الحقيقة، وخالف في ذلك من نصحه بأخذ غير الطريق العام، إخفاءً لنفسه عن الأعداء.

٣. ذهابه عليه السلام إلى مكة وبقائه فيها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة، وخروجه في ذلك الوقت الذي ازدحمت فيه مكة بالحجيج، فيلفت نظرهم بذلك.

٤. أنه عليه السلام بعث مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة ليهيئ له الأجواء ويمهد له الأرضية بتعبئة المسلمين وتنظيمهم وأخذ البيعه منهم، ودراسة مجمل الأوضاع السياسية والاجتماعية والروحية فيها، وتعريف الناس مقاصد

الثورة وأهدافها.

٥. أخذه عليه السلام لعياله وأهل بيته عليهم السلام إلى كربلاء.

وفيما يتصل بالتأييد الجماهيري فقد وردت إليه عليه السلام كتب تمثل بعداً جماهيرياً لإحساس أهل الكوفة بالظلم والذل والآلام، ويرون أن الإمام الحسين عليه السلام هو الأمل في الإنقاذ من هذا الوضع المأساوي، ويشهد لما ندعيه منهجية (ابن زياد) في الوقوف أمام هذا التيار الجماهيري، حيث اعتمد فيه اسلوب القمع، فعمد إلى اعتقال وجهائهم ورؤسائهم كـ (المختار الثقفي وسليمان بن صرد الخزاعي والأصبغ بن نباتة والحارث الهمداني)، مضافاً إلى التخويف والتهديد بجيش الشام القادم، وأسلوب الإغراء ببذل الأموال وإعطاء الوعود، ولعل في كلمة (الفرزدق) عند لقائه بالإمام الحسين عليه السلام ما يؤكد ذلك لما سأله عن الناس فقال: قلوبهم معك وسيوفهم عليك.

وعليه يتقرر أن المسؤولية خصوصاً بعدما اتضح تهيئة الإمام الحسين عليه السلام لجميع الظروف الموضوعية اللازمة لنجاح الثورة، وهذا يكشف عن وجود خلل في الأمة، والظاهر أنه يرجع أساساً للأوضاع الروحية والنفسية لها ،وهو ما أراد الإمام الحسين عليه السلام معالجته، حيث إن الأمة قد أصيبت بموت الضمير وفقد الإرادة، ومتى كان ذلك في أي أمة فأنها لا تتمكن من تحقيق أهدافها والوصول لغايتها، فضلاً عن التحرك بشكل صحيح.

وللمسؤولية الاجتماعية ولا يركن لضعفه أو لقلة عدد من معه، فلا بد أن يقاوم الظلم والجور مهما كلفه ذلك، حتى لو كان يعلم أنه سيهزم وسيغلب، ففي هزيمته وغلبته يكون النصر والقوة.

لقد كان (محمد ابن الحنفيه) شقيق الإمام الحسين عليه السلام في طليعة أولئك الذين حاولوا منع الإمام الحسين عليه السلام أن لا يستجيب لأهل العراق وأن يبقى بعيدا عنهم، وقد ذكره مع من ذكروه بموافقهم مع أبيه وأخيه عليهما السلام، وكان قد أشار عليه أن يذهب إلى اليمن أو بعض نواحي البر ولا يذهب إلى الكوفة، فوعده الإمام الحسين عليه السلام أن ينظر في الأمر، وفي مطلع الفجر في تلك الليله أُخبر ابن الحنفيه إن الإمام الحسين عليه السلام قد تهيأ للخروج مع اخوته وبني عمومته ونسائه إلى العراق، فأقبل عليه السلام وقد أقبل موكبه على التحرك فأخذ بزمام ناقته وهو يبكي وقال له: ألم تعدني النظر فيما سألتك فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فرد عليه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:لقد جاءني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك وقال لي: **(لقد شاء الله أن يراك قتيلا)**. فاسترجع ابن الحنفيه وقال: إذا كان الأمر كما تقول فما معنى حملك للنساء وأنت تخرج لهذه الغاية؟ فقال له الإمام الحسين عليه السلام: **(لقد شاء الله أن يراهن سبايا)**.

لأن سبيهن بعده من بلد إلى بلد لم يكن أقل أثراً على تلك الدوله الجائرة، وعلى تلك الأسرة التي تكيد للإسلام من شهادته إن لم يكن أشد وقعاً على نفوس المسلمين من استشهاده، وفي الوقت ذاته فلقد كان سبيهن من جملة الوسائل لنشر الدعوة إلى العلويين ومبدأ التشيع إلى أهل البيت عليهم السلام ولعن من شايع وتابع وبايع على قتل الإمام الحسين عليه السلام، وقد أشارت إلى ذلك العقيلة الكبرى عليها السلام في قولها إلى (يزيد بن ميسون) في مجلسه في قصر الخضراء: **(فو الله ما فريت إلا جلدك وما حززت إلا لحمك)**.

وقد رأى الناس في السبايا من الفجيعة أكثر مما رواه في قتل الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما أراده الإمام الحسين عليه السلام من الخروج بالنساء والصبيان، ولو لم

يخرج بهم لما حصل السبي الذي ساهم مساهمة فعالة في الهدف الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام من نهضتة وهو إنهيار تلك الدولة الجائرة.

لقد كان باستطاعة يزيد ومعاونيه لو لم يتعرض لأسْرِ النساء والأطفال وسبيهن من بلد إلى بلد أن يموه على الناس ويقول لهم: لقد نازعني الحسين ملكي وقاتلني فقتلته. ولكنه بعد أن صنع مع النساء والأطفال ما صنع من الأسْرِ والسبي والامتهان ضاقت عليه الحجج والذرائع ولم يعد أمامه إلا أن يتنصل منها ويضع مسؤوليتها على غيره حيث لا يجديه التنصل ولا تستره الأعذار، وقد أيقن بعدها الكثير من الناس بأنه كان في عمله هذا مسيراً لأمويته الحاقدة على بيت محمد صلى الله عليه وآله ورسالته، ولو أنه ترك النساء والأطفال بعد تلك المجزرة وشأنهم، ولم يعاملهم بتلك المعاملة التي لم يعامل المسلمون بها أسرى المشركين ونسائهم، لم يكن لجريمته كل ذلك الصدى الذي هز العالم الإسلامي وبكل فئاته وطبقاته.

نعم لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يرى من وراء الغيب بأن شهادته وحدها لا تعطي النتائج المطلوبة ولا تحقق له جميع أهدافه، ما لم تقترن بسبي النساء والأطفال والطواف بهم من بلد إلى بلد ليتاح إلى شقيقته العقيلة عليها السلام أن تؤدي دورها ورسالتها، فقال لأخيه ابن الحنفية وهو يتململ بين يديه باكياً حزيناً: **(لقد شاء الله أن يراني قتيلاً وأن يرى نسائي وأطفالي سبايا)**.

وعندما يرى سيد الشهداء عليه السلام أن حاكماً ظالماً يحكم في الناس بالجور والعدوان فأنه عليه السلام يقول: **(من رأى حاكماً جائراً يحكم في الناس بالظلم بمقدار ما يستطيع ولو كان معه بضعة أنصار فقط يقفون بوجه ذلك الحاكم ذي الجيش العظيم الجرار فأن ذلك قمة المسؤولية الاجتماعية تجاه تبصير الأمة)**.

ويرتبط بذلك تناول شخصية الإمام الحسين عليه السلام وكيف كان مهموماً بالهم الاجتماعي للأمة وللمجتمع الإسلامي، وكيف أنه عليه السلام قد ترجم تلك المقومات لسلوك واقعي ولمواقف حياتية.

ولنبدأ بأهم ما في شخصية الإمام الحسين عليه السلام، يشع رحمة ونقاءً وصدقاً فقد جمع الله له من رؤية الحق ورفعة النفس، فعمل جاهداً على تخفيف معاناة المحرومين لكي يزرع في قلوبهم الأمل، وهذا ما أدركناه عندما قام بتوديع (أبي ذر) وقد أخرجه عثمان من المدينة بعد أن أخرجه معاوية من الشام، فحاول الإمام الحسين عليه السلام أن يخفف من معاناته وأن يشع في قلبه حزمة من الصبر والأمل بالنصر فقال له: **(يا عماه، إن الله قادر أن يغير ما قد ترى والله كل يوم في شأن وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك وما أغناك عما منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم، نسأل الله الصبر والنصر، وأستعيذ به من الجشع والجزع فأن الصبر من الدين والكرم وأن الجشع لا يقدم رزقاً والجزع لا يؤخر أجلاً)**.

يقول هذا الكلام... وان في كل حرف فلذة من قلبه النابض، وهذا هو دأبه، ينفس عن كربة المظلومين ويقرب بين المتباعدين ويكشف دسائس الظالمين، كان همه عليه السلام السلام والإصلاح، فعندما سمع بمكيدة معاوية التي أراد بحياكة فصولها التفريق بين زوجين منسجمين وهما (زينب بنت إسحاق وعبد الله بن سلام) لا لشيء إلا لإشباع أهواء ولده يزيد الفاجر الذي وقع في حب هذه المرأة المحصنة من حيث لا تشعر، فأرسل إلى عبد الله بن سلام وقربه وحاول إغرائه بالمنصب والزواج من ابنته حتى خدعه بضرورة تطليق زوجته، ولما وقع في الفخ وطلقها، سارع معاوية بإرسال (أبي هريرة) لكي يطلبها لابنه يزيد، ولما وصل أبو هريرة إلى المدينة والتقى بالإمام الحسين عليه السلام وقص عليه الحكاية، طلب

الإمام الحسين عليه السلام منه أن يذكره عند زينب خاطباً، فصدع أبو هريرة بأمره، وقال لزينب: إنك لا تعدمين طلاباً خيراً من عبد الله بن سلام، قالت: من؟ قال: يزيد بن معاوية والحسين بن علي وهما معروفان لديك بأحسن ما تبغينه في الرجال، فقالت: لا أختار على الحسين بن علي أحداً وهو ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة. ولم يلبث الإمام الحسين عليه السلام أن ردها إلى زوجها قائلاً: **(ما أدخلتها في بيتي وتحت نكاحي رغبة في مالها ولا جمالها، ولكن أردت إحلالها لبعلها)**.

هذه القصة تكشف - من ضمن ما تكشف - عظمة شخصية الإمام الحسين عليه السلام وإنسانيته وبالمقابل خسة ودناءة أعدائه. كما تكشف - من جهة أخرى - شعبيته ومقدار الحب والتعظيم الذي تحمله الناس لشخصه عليه السلام فقد غزا أفئدة الناس حباً.

لقد أثار استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه بهذه الطريقة التي تجمع بين ثنائيتي قداسة البطل وإجرامية السلطة شعوراً عارماً بالندم وإحساساً عميقاً بالخديعة لدى المجتمع الإسلامي، وبالإضافة إلى تأثير ذلك الشعور في الوحدات الثورية الكامنة وبعثها على شكل ثورات وانتفاضات، وبهذين الجانبين اللذين توخاهما الإمام الحسين عليه السلام في مراحل نهضته تكاملت رؤيته الإصلاحية للمجتمع، وقامت فلسفته في إنهاض الأمة، فبقيت الهوية الإسلامية محافظة على رونقها وأصالتها ووجودها، رغم هذه القرون المتطاولة، ورغم تعدد أساليب المستبدين كتيار إصلاحي معاند يسري في عمق المجتمع الإسلامي.

لقد أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يستعيد الإنسان موقعه الحقيقي في حركة التاريخ، وأن يكون فعله إيجابياً في التطلع الرسالي نحو الآخرة. أراد عليه السلام أن يعيد للإنسانية اعتبارها كحاملة للفكر الرسالي وأن يوحد البناء الاجتماعي عبر المشروع النهضوي داعياً إلى الخلاص من ظلامية الطاغوت.

لاشك أن الإمام الحسين عليه السلام قد استطاع أن يجسد العلاقة بين الإنسان والعقيدة حد الإستشهاد فتمكن أن يؤسس لمواجهة نوعية بين الإنسان وذاته عبر منح الإنسانية قيمة شرعية وتاريخية تنحو منحاً مستقبلياً لتتمكن الإنسانية من إعادة اكتشاف ذاتها بشكل مجرد من النزعات الآنية أو المرجعيات القبلية حيث لا قيمة للشكل القبلي أمام قيم الشهادة ولا معنى لمفاهيم الفكر المتردي أمام التعالي، فالثورة الحسينية حررت المجتمع من إمكانية النكوص المستقبلي فلا حجة للفكر في العودة إلى النهج القبلي بعد تبيان الحقيقة في أسمى تجلياتها، ولا حجة في الاتكال على الشخصنة عندما يخرج الإمام بنفسه للجهاد معلناً أن قيمة الإنسان تتجلى عبر قيمة الفعل، فالفعل الذي يترك بصمته على حركة التاريخ هو بالتالي عنوان للإنسان في أرقى تجلياته بحثاً عن الحقيقة. ففي تبيان مفاهيم الصراع بين الأشكال القبلية التي ظل المجتمع متشبثاً بها ولم يتمكن من الخروج من قيعان ضحالتها، ويرتقي في سماوات الفكر الرسالي.

لقد استطاع التجرد الحسيني أن يطبع ثورته المباركة بالطابع العالمي، كما هي تمثل أرقى أشكال النهضات الإصلاحية على مسار التاريخ.

لا شك أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام شكلت أهم أنواع الصراع الفكري المتعالي والفكر الإنحطاطي، ففي الوقت الذي تبنت فيه مدرسة السقيفة قيماً متدنية لتجعلها قيماً عليا، نجد أن الفكر الرسالي كان قد أسس من البداية

على تبني قيم سماوية ترسم علاقة التكوين بالمكون، فالبعد الغيبي في المشروع الحسيني يبقى تعبيراً عن قيمة ارتباط الأمة بالتعاليم، ومن هنا كانت الثورة النهوضية للإمام الشهيد عليه السلام تمثل طاقة قيمية ومفاهيمية لا تنفد، فالإمام الحسين عليه السلام عايش الإسلام معايشة مبدئية تتجاوز في قيمتها المفاهيم العقائدية أو الاجتماعية المتوارثة، كما أنه سعى إلى تحرير المجتمع الإسلامي والإنسانية من عبثية اللاعقلانية التي طرحها قصر يزيد، فكانت نهضته تنهج نهجاً واقعياً ينطلق من حاجة الإنسان إلى التحرر من رق عبودية الذات.

هذه السياقات هي التي حفزت الإمام الحسين عليه السلام على الثورة والخروج على النظام القائم، كما إن أهم فترة في تاريخ الإسلام السياسي هي الفترة التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام، فقد حفلت بأحداث رهيبة، ولم تكن هذه الحادثة المفزعة التي أخمدت الوعي الإسلامي وأماتت الشعور بالمسؤولية، فكان حرياً بالإمام الحسين عليه السلام أن يعيد للأمة ثقتها بنفسها من خلال مسؤوليته الاجتماعية عن أمة جده عليه الصلاة والسلام.

كما تجلت أبعاد المسؤولية الاجتماعية لدى الإمام الحسين عليه السلام في كونه ملاذاً للفقراء وملجأً لمن جارت عليه الأيام، ويمكن توضيح ذلك في الحضور الاجتماعي، النموذج الاخلاقي، ثم في الاهتمام بمناطق الضعف في المجتمع.

وقد تجلت معاني المسؤولية الاجتماعية هذه في منهج الإمام الحسين عليه السلام في إطار ثورته المباركة، ذلك أن الوعي والبصيرة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان أمر ضروري جداً لأي عمل أو دور يريد أن يؤديه، فلا يمكن للإنسان السير في الطريق إلى الهدف بدون تلكؤ أو تعثر ما لم يكن على بينة من أمره، ووضوح في هدفه، واستناداً إليه فقد وجدنا الإمام الحسين عليه السلام مع تحديده لهذا الهدف

بوضوح، يرسم للمجاهدين الطريق، ثم إن الإمام القائد عليه السلام مع تحديده لهذا الهدف المباشر من حركته وثورته إلا أنه يضع أنصاره وتابعيه أمام مسؤولية أعظم ويبصرهم بأنه مع أهمية هذا الهدف، إلا أنه لا ينبغي أن يكون هذا هو هاجسهم الأكبر، بل يجب أن تكون الاطاحة بالنظام المتسلط، ولذلك صرح الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: **(إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأسير بسيرة جدي وأبي)**.

وهنا في غمرة تهيئة ذهنية المسلم ونفسيته للمواجهة الحاسمة مع النظام المتسلط وتعبئته بهذا الاتجاه، فإن الإمام القائد عليه السلام يذكر أصحابه باستمرار بأن العمل الجهادي لا يقتصر على مجرد الإصلاح أو تغيير النظام فحسب، بل يجب أن يكون الهدف دائماً اكبر من ذلك، وهو تحكيم شريعة الله تبارك وتعالى، ولذلك وجدناه عليه السلام يقول: **(لقد بعثت اليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فأن السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت..)**، ثم يقول عليه السلام في خطاب آخر: **(ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله..)**.

وهكذا يظهر أن الإمام الحسين عليه السلام يبصر المسلمين بأنه عندما تنحدر الأمور إلى الحالة الموصوفة، فينكر المعروف، ويستمرئ الناس المنكرات، وينظر إلى الحق فلا يعمل به والباطل لا ينتهى عنه، فلا بد حينئذ من الانتفاضة المسلحة، تعني الدخول في المواجهة الحاسمة مع النظام المتسلط، وهنا نجد الإمام القائد عليه السلام يحدث وعياً متزايداً ومهماً بما تتطلبه مثل تلك المواجهة المسلحة، ويتضح من كلماته عليه السلام وعباراته أن المطلوب - على وجه التحديد أولاً - هو أن يكون جميع

الثوار والمنتفضين في وجه النظام المتسلط الجائر على حالة من الصفاء والانسجام فيما بينهم، لأن هذا شرط أولي وأساسي لتحقيق المسؤولية الاجتماعية.

ثم يبين الإمام الحسين عليه السلام بعد ذلك ويلفت الإنتباه إلى أمور خطيرة في شأن المواجهة المسلحة، منها ضرورة التبصر بأمر الحرب، وما قد تجره من ويلات وعذابات فطعمها فظيع. وهذا بالضرورة يقود إلى أهمية أخذ الأهبة وإعداد العدة والعدد، فلقد اجتمع زعماء المعارضة من أنصار الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة، في بيت (سليمان بن صرد الخزاعي) واستعرضوا الأوضاع السياسية والاجتماعية وموت معاوية وانتقال السلطة إلى يزيد، وتباحثوا في ضرورة تحرك الإمام الحسين عليه السلام، وقرروا نصرته والانضواء تحت قيادته وإمامته وإعلان الولاء له ومكاتبته.

وحتى مع توافر هذا العامل، المهم فلا بد من تهيئة مستلزمات الظفر والنصر، أي كسب المعركة، ومن جملة ذلك بل على رأس الأوليات هو أن تتمتع الكوادر الجهادية بقوة رصد الأحداث والقدرة على استكشاف الإمكانيات الخبيثة للعدو، تلك الإمكانيات التي قد يزج بها العدو في المعركة والتحسب لها، مع امتلاك القدرة على فك أية تعقيدات يمكن أن تنشأ أثناء الحدث الثوري أو قبل وقوعه، وإلا فربما يؤدي ذلك إلى النكوص والإحباط والفشل، وعلى ذلك نستطيع أن نستكشف أيضاً أن الإمام القائد عليه السلام كان يهيئ الأمور لمثل هذا المستوى، ويوفر العوامل الطبيعية للظفر، وهي مرحلة مهمة للإنسان المسؤول اجتماعياً.

ويرتبط بذلك الإيمان المطلق بالقيادة والوفاء لها، إذ لا يمكن للإنسان الذي يثور في وجه الواقع الفاسد ويسعى إلى تغييره أن يصل إلى الهدف المعلن

ما لم يؤمن بقيادة مؤهلة ويكون وفياً لها، وأعني بها تلك القيادة الشجاعة التي تتصدى بكل جرأة لتحقيق هدف إسقاط السلطة وتسلم الحكم، كما أن من غير المتصور بلوغ الهدف من دون وجود العلاقة المذكورة بين الأتباع والقائد.

ومن هنا وجدنا الإمام الحسين عليه السلام يربي أتباعه ويعبئهم روحياً وفكرياً ليكونوا على هذا المستوى من الإيمان والوفاء. ونحن إنما نستطيع أن نطلق القول بذلك إذا نظرنا إلى الأنصار والأتباع في ساحة المواجهة وفي ساحة اصطكاك الأسنة، وحتى مع عدم الرجوع إلى مواقفهم وأسلوب منازلتهم الأعداء، فإن لنا في الوسام الذي قلده الإمام الحسين عليه السلام إياهم خير دليل فقد قال عليه السلام في حقهم: (إني لا أعلم أصحاباً اوفى من أصحابي).

وفي هذا الصدد لا أرى ضرورة لسرد ملامح البطولة، فمثلاً طلب الإمام الحسين عليه السلام من أصحابه التفرق عنه لأن القوم لا يريدون غيره، فقام سعيد بن عبد الله الحنفي فقال: (لا والله يا ابن رسول الله لا نخليك أبداً حتى يعلم الله أنا قد حفظنا فيك وصية رسول الله محمد صلى الله عليه وآله)، ثم قال: (والله لو علمت أني أقتل فيك ثم أحيا ثم أحرق ثم أذرى ويفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك). وهو ما يعكس الاستعداد العالي للتضحية والانضباط التام.

إن الإنسان الذي يضع نصب عينيه هدفاً كبيراً وعظيماً لا بد أن يحسب حسابه للتضحية والإستعداد العالي للتحمل في سبيل الوصول إلى مثل هذا الهدف، ومن هنا كان لا بد للقائد التاريخي الذي يتحمل مسؤولية تاريخية عظمى ويريد النهوض بأعباء الثورة العارمة، لا بد أن يثير أصحابه ويستفز فيهم كل دواعي الإستعداد للتضحية، وأعلى درجات القدرة على التحمل والصبر.

وهذا ما فعله الإمام القائد عليه السلام تماماً، وكما يظهر في خطاباته وتوصياته أنه كان يعد أصحابه ويربيهم على هذه المعاني، فلنسمعه في قوله عليه السلام: **(أيها الناس إنما جمعتكم على أن العراق لي وقد أتاني خبر فظيع عن ابن عمي مسلم يدل على أن شيعتنا قد خذلتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام)**.

هكذا إذن بكل وضوح وبصراحة وبجرأة وشجاعة القائد التاريخي الذي لا تزيده كثرة الناس حوله شجاعة ولا قلتهم ضعفاً وتراخياً عن هدفه، يقف الإمام عليه السلام واضعاً حقيقة الموقف وأبعاده وملابساته وكل ما يكتنفه من ظروف ومستجدات، يضع كل ذلك أمام الأتباع والأنصار، إنها إذن المواجهة الحاسمة والمصيرية التي تطير فيها الرؤوس وتكون الأجساد عرضة للطعن وهدفاً للسيوف، إنها المواجهة التي يقبل فيها الناصر ويتكاثر المتخاذلون ويقعد فيها الناس فلا يتصدى ولا ينهض حينئذ إلا من وطن نفسه على المنية ووضع روحه على راحته، لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

إننا نستفيد من ذلك دروساً في المسؤولية الاجتماعية للقائد تجاه أمته وجماعته، وهي الشفافية والمكاشفة، إن القائد التاريخي لا يتردد في إطلاع وإعلام من معه في حركته الجهادية على حقيقة الموقف أولاً بأول دون مواربة ولا تضليل ولا خداع، وإننا نلمس بكل وضوح أن الإمام الحسين عليه السلام اعتمد مبدأ المصارحة، فهو منذ اللحظة الأولى قد صارحهم بما سيؤول إليه الأمر من قتله وقتل من معه من أهل بيته عليهم السلام، وبذلك وضع الموت أمامهم على أنه الحقيقة التي عليهم مواجهتها والإستعداد الكافي لها.

إذن هو يتحدث بكل صراحة عما سيلاقيه، لا يماري ولا يخادع، ومع أن هذا الأمر كما أشرت كثيراً ما تحدث عنه الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه وفي

مناسبات عديدة ومواضع جمة، فإنه لم يكتفِ بذلك بل واجه به أصحابه ليلة العاشر من محرم مواجهة أكثر صراحة، فربما ما يزال في ذهن أحد منهم احتمال آخر غير ملاقاة الموت والشهادة، وبعد هذا التصريح وهذه المكاشفة نجد موقف الأنصار والأتباع يثلج الصدر وينم عن مدى تأثير التربية الجهادية والروحية التي استطاع الإمـام الحسين عليه السلام أن يزرعها فيهم، نعم نجدهم يشهرون سيوفهم من أغمادها ويتجمعون حوله مصرّين على الجهاد والذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله غير هيّابين ولا وجلين، فقد امتلأت نفوسهم رضى بنصرة ابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله والموت دونه، فلما رآهم الإمام الحسين عليه السلام على هذا المجال حمد الله وأثنى عليه، ثم قلدهم وسام الشرف الأبدي والكرامة الخالدة بقوله: (إني لا أعلم أصحاباً أوفى من أصحابي...)، ومن هنا يتأكد لدينا أن الإمام الحسين عليه السلام مع يقينه وعلمه بمقتله ومقتل من معه لم يهن ولم يضعف، وكان هو وأصحابه الميامين على أعلى درجات الإستعداد للتضحية والفداء في سبيل نصرة الدين القويم وإبقاء جذوته متقدة أبد الآبدين.

ويتوج معاني المسؤولية الاجتماعية الانضباط والالـتـزام، حيث يعد الانضباط التام مسألة جوهرية في أية مواجهة مسلحة، والانضباط بمفهومه هو الالتزام الصارم بتوجيهات القيادة وأوامرها، وبدونه فإن الارباك والفوضى والانفلات سيسود في الطرف الذي لا يلتزم بمثل ذلك الانضباط المطلوب، وهو ما يؤدي إلى الإنكسار والفشل، ولكن الانضباط لا يسود عادة وتكون له الأولوية اعتباطاً، بل إن ذلك يتحقق عبر ممارسات جادة واختبارات معقدة، ومن خلال النمو المتزايد للشعور العالي بالمسؤولية والإيمان المطلق بالقيادة، وهنا نجد حالة الانضباط بالصورة التي ذكرناها قائمة أثناء المواجهة المسلحة

في الجبهة التي يقودها الإمام الحسين عليه السلام، مع تأثير فرص الانفلات في الجبهة المعادية، فنحن نجد الأنصار ينقادون لتوجيهات الإمام الحسين عليه السلام وأوامره ويخضعون لها بكل إخلاص ونكران ذات.

وتتجلى أروع صور المسؤولية الاجتماعية لدى الإمام الحسين عليه السلام، فيما اقتفى أثره (عليه الصلاة والسلام)، إذ نجد أن الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان مسالماً، بل هو السلم كله، حتى أن أصحابه أرادوا البدء بالقتال ولكنه عليه السلام منعهم حيث يقول عليه السلام: **(إني أكره أن أبدأهم بالقتال)**، تأثراً بمقولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: **(من ركب العنف ندم)**، ومع هذا كله كان الإمام الحسين عليه السلام يتمتع بأعظم الأخلاق والقيم الإسلامية، ويبحث عن سلام البطولة وليس عن بطولة السلم، وكانت إرادته صلبة ولكنه يعتمد اللين في المعاملة، ونرى ذلك في اهتمام الإمام الحسين عليه السلام في تقليل عدد القتلى من الطرفين، فهل يوجد في العالم من يفكر في تقليل عدد القتلى عند العدو إلا إذا كان ذا أخلاق عظيمة وشهامة وإباء مثل الإمام الحسين عليه السلام الذي كان يهدف إلى احياء القيم الإنسانية متمثلة في العفو والرحمة والسلم؟ وتلك من معاني المسؤولية تجاه الطرفين في المعركة الواحدة.

كما تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع العدو تعاملاً سلمياً إنسانياً فقد روي: أنه خرج إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام تميم بن قحطبة وهو من أمراء الشام في جيش عمر بن سعد وقال: يا بن علي إلى متى الخصومة؟ فقد قتل أولادك وأقرباؤك وموالوك، فأنت بعد تضرب بالسيف مع عشرين ألفاً. فقال الإمام الحسين عليه السلام: **(أنا جئت إلى محاربتكم، أم أنتم جئتم إلى محاربتي؟ أنا منعت الطريق عنكم، أم أنتم منعتموه عني؟ وقد قتلتم أخوتي وأولادي، وليس بيني وبينكم إلا السيف)**،

فقال اللعين: لا تكثر المقال، فتقدم إلي حتى ارى ما عندك...، فصاح الحسين عليه السلام صيحة عظيمة وسل السيف وضرب عنقه فتبعد خمسين ذراعاً.

وبنظرة للسياق الاجتماعي الذي دفع الإمام الحسين عليه السلام للثورة يمكن استكشاف ملامح الاهتمام بالشأن العام وشأن الأمة والمسؤولية الاجتماعية، ولكي يتضح ذلك أكثر يمكن القول أنه عليه السلام قد برهن بنهضته المجيدة على إن الشكلية الدينية التي كان يتستر بها الحكم الأموي لا يمكن أن تعطي مبدأ الشرعية الحقيقي، وأن الشرعية لا تنبع إلا من التطبيق الأمين للإسلام، وبهذا كان الإمام الحسين عليه السلام أول من أدخل مفهوم الرفض ضد الظلم والظالمين داخل كيان الأمة الإسلامية، فانبعثت الروح النضالية فيها متوهجة، وأصبحت الثورة الحسينية الأم لكل ثورة جاءت بعدها، فوحدت قلوب المسلمين في الأرض حتى انتهت بتقويض العرش الأموي.

ومن هنا فأن الدرس البليغ الذي نتلقاه ونستلمه من تضحية أبي عبد الله عليه السلام هو النضال دون الحق، فالبشر لا يستطيع احتمال الاضطهاد، ويأبى إلا أن يكون حراً في عقيدته وتفكيره واختيار نظام معيشته وحاكميه، ولا تثنيه قوة عن التضحية في سبيل هذه الحريات المقدسة.

ولقد كان لشهادة الإمام الحسين عليه السلام أثر كبير في إيقاظ شعور الأمة وتشجيعها على الثورة ضد الحكومة الأموية التي أصبحت رمزاً للفساد والانحراف عن الدين. ولأجل ذلك توالت الثورات بعد شهادته عليه السلام من قبل المسلمين في العراق والحجاز، وهذه الإنتفاضات وإن لم تحقق هدفها في وقتها ولكن كان لها الدور الاساسي في سقوط الحكومة الأموية بعد مدة من الزمن.

ثالثا: الاستفادة من الإمام الحسين عليه السلام كرائد للمسؤولية الاجتماعية

لنسأل أنفسنا كم استلهمنا من تلك المدرسة الكبيرة في حياتنا اليومية؟ وما هو الدور الذي أعطيناه لكل واحد منا في بناء نفسه وعقيدته وبلده؟ ألسنا اليوم بحاجة ماسة لتلك المفاهيم؟ ولا سيما في وضع كوضع العراق خاصة، وفي المجتمع العربي والإسلامي عامة، متى نكون منصفين مع الجميع؟ وأن لا تربطنا ببعضنا البعض إلا روابط الفعل الصحيح ونكران الذات في مقابل مصلحة المجتمع، وما أحوجنا اليوم إلى أن نقف وقفة صحيحة لجميع مساراتنا، متخذين من العقل نبياً يرشدنا لفعل الخير، ومن مشاعرنا جسراً لبناء كيان التفاهم والتوادد قبل أي كيان سياسي.

علينا أن نصلح ذات اليمين على مستوى الأُسَرْ، الازواج والزوجات، الآباء والأبناء، الجيران، جماعات العمل. إذا أحببنا نحب لله، وإذا بغضنا نبغض لله، ونقول لله سبحانه وتعالى كما نحب الإمام الحسين عليه السلام: أللهم إن هذا عملنا فيما نملك فتولّ أنت إصلاح ما تملك وما لا نملك.

لقد كان سيد الشهداء عليه السلام يدرك ويعي أهمية الرسالة الملقاة على عاتقه، ويعلم أن التاريخ ينتظر شهادته، وأنها ستكون ضماناً لحياة أمة، وأساساً لبناء عقيدة.

لقد ترك الإمام الحسين عليه السلام وإخوته وأصحابه رضي الله عنهم وحتى غلمانه دروساً سخية بالعطاء والقيم حافلة بالعبر والمثل التي تنير العقول وتبعث في القلوب والنفوس قوة الايمان بالمثل العليا والمبادئ السامية التي دعا إليها وضحى بكل ما يملك من أجلها، ولا تزال الأجيال تستلهم منها كل معاني الخير والفضيلة،

وسيبقى الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره مثلا كريما لكل ثائر على الظلم والجور والطغيان إلى حيث يشاء الله تعالى.

أجل إن رسالة الإمام الحسين عليه السلام كانت ولا تزال امتداداً لرسالة جده صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام بطل الإسلام الخالد الذي قام الإسلام وانتشر بسيفه وجهاده.

لقد استفادت الأمم من إقدام أبي الضيم عليه السلام على الموت، وبذله كل ما لديه من جاه وحرمات في سبيل تأييد الدعوة المحمدية دروساً عالية، وعرفوا كيفية الثبات على المبدأ، وأنه يستهان في تحرير النفوس عن الجور وإنقاذها من مخالب الظلم كل غال ورخيص، وهكذا فإن ما يريده الإمام الحسين عليه السلام وهو أن تستعيد الروح النظيفة مكانتها، وأن تزهو حالة الإيثار مثلما كانت تتسيد أخلاق المسلمين في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وأن يتجنب الجميع خطر السلطة وسحرها فرداً كان أم حكومة، إذا أصابته الحمى والوهن ويحنو بعضهم إلى بعض ويصحح بعضهم أخطاء بعض، وطالما أن النفس لا تردع بالوعظ وحده، فعلينا جميعاً أن نؤْمِن ونؤَمِّن سلطة قانونية رادعة وعادلة في آن، لكي نسترشد بها ونساعد أنفسنا من خلالها للحاق بالركب المتطور، إضافة إلى التمسك بالمنهج الإنساني العظيم للإمام الحسين عليه السلام.

إذن هي مسألة تتعلق بالمسلمين أنفسهم بأنفسهم، وعليهم أن يغيروا ما في أنفسهم بأنفسهم لا بغيرهم، ويستذكروا في مثل هذه الأيام جوهر التضحية العظيمة التي قدمها الإمام الحسين عليه السلام لأمة المسلمين، لكي تتوقف عجلة الظلم والتجاوز على الحقوق الإنسانية، ولكي نبقى نعرف حقيقة ما يريده الإمام الحسين عليه السلام ونعمل بجوهره من أجل أنفسنا، حاضرنا ومستقبلنا.

إذا أردنا إن نبني مجتمعاً حسينياً السمة والمسيرة ويتحدى الظلم ويقارع الارهاب ويقاوم الاستبداد ويقف متحدياً كل المؤامرات والدسائس الاستعمارية، فليس لنا طريق إلى ذلك غير أن ننشئ ونربي جيلا حسينياً من كل جوانبه، متسلحاً بمبادئ الرسالة والثقافة الحسينية، ومستلهماً منها، فثقافة الإمام الحسين عليه السلام هي ثقافة القرآن أيضاً وثقافة أبيه عليه السلام وجده صلى الله عليه وآله، وهي تجسيد حي للثقافة التي ضمنها نهج الجهاد والرسالة والحياة، فيا مواطني العالم هلموا بنا نربي وننشئ أجيالنا وأطفالنا على تلك الرؤى والبصائر القرآنية، على نهج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وما رسموه لنا من خطوط في العمل والمواقف والسياسات.

من الواجب علينا نحن الذين نرى محبته خاصة أن نأخذ العبرة من نهضته عليه السلام، وان نأخذ عنه درس الإنسانية الأكبر، وهو الإتحاد في الحق ضد الباطل، والإخاء ضد التفرقة والحرية ضد الاستبداد، وأن نوجه خصومتنا ضد من يفرق بيننا بأي صفة وأي غاية، فلأجل هذا ثار الإمام الحسين عليه السلام، وفضل الموت على حياة الخنوع والاستسلام، وهذه هي حكمة التضحية.

علينا أن نفهم معنى السلم الذي تبناه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وآليات تحقيقه، فهناك من الناس من يحب السلام، ولكنه سلام الذات والاستسلام والعزلة، ولا يفكر بإحداث تغيرات في البنى والقوى والعناصر الفاسدة في البيئة والمجتمع، ومواقفه في الأحداث الاجتماعية والسياسية الكبرى تكاد تكون مواقف سلبية لا تتعدى الدفاع عن الذات من أخطار الانحراف.

وهناك من يدّعي أنه يحب الإسلام ويريد تحقيقه في مجتمعه والمجتمع العالمي، ولكنه يرى أن الإسلام لا يتحقق في المجتمعات الدولية والمحلية إلا

من خلال تصنيع وامتلاك الأسلحة، وخاصة المدمرة والفتاكة كالقنابل الذرية والهيدروجينية والجرثومية... وغيرها، ويَعتبر السلاح المتطور كماً وكيفاً هو الضمان لتطبيق السلام العالمي، ليس هذا فحسب، بل نرى من يسفك الدماء ويقتل الأبرياء ويبيد الشعوب وهو يرفع شعارات السلم والسلام.

الإمام الحسين عليه السلام هو المنهج الثالث الداعي، للسلام ولكنه ليس سلام الذل والخنوع والخضوع وقبول الباطل، وليس سلام القوة والسلاح والقتل والإبادة الجماعية كما تفعل الدول الكبرى اليوم بدعوى محاربة الارهاب، وذلك لأن مدرسة الإمام الحسين عليه السلام مدرسة تقف من العنف والطغيان والتعسف والإرهاب موقف المضاد فكرة وسلوكاً، فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يدعو الناس إلى الايمان بالإسلام بأسلوب المسالمة واللاعنف.

إن منهج الإمام الحسين عليه السلام أقلّ حرصاً على منع سفك الدماء، ليس في صفوف الأنصار والموالين، وإنما في صفوف الأعداء والمبغضين، فالإمام الحسين عليه السلام كان يدعو جيش السلطة وقادته أن يعدلوا عن قتله وعن قتل عياله وأنصاره، ليس خوفاً أو طمعاً في شفاعتهم، ولكن خوفاً عليهم من العار ودخول النار، إنه عليه السلام كان يعلم أن القوم إذا قتلوه سوف لا يعيشون كثيراً من بعده، وأن الله سبحانه وتعالى سوف يعاقبهم بسبب قتلهم لسبط النبي صلى الله عليه وآله وأنصاره، هذا هو سلام الإمام الحسين عليه السلام، هو يريد الإصلاح ويطلبه، ولا يحيد عنه، ولكن يحرص أن يكون هذا الإصلاح ثورة بيضاء.

إذن ماذا يريد منا الإمام الحسين عليه السلام كل عام في ذكراه؟ وصوته الحزين ما زال يتردد في الآفاق: (هل من ناصر ينصرنا؟)، المطلوب أن يتفق المسلمون الآن على نصرة الإمام الحسين عليه السلام، ينصرونه بالقلم والفكر والتآزر والتعاون

والمحبة والإيثار، ينصرونه بالسير على نهجه المسالم وهو يقول: (أكره أنْ أبدأ القوم بقتال).

كما أن الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام ليس مجرد سرد تاريخي لقضية احتلت مركز الصدارة في صحف التاريخ البيضاء، بل هو حديث عن أروع الأمثلة المقدمة للبشرية في الدفاع عن الحقوق المغتصبة، وأهمها وفي مقدمتها (سرقة قيادة الأمة من أصحابها الشرعيين).

فحركة الإمام الحسين عليه السلام منذ انطلاقتها من المدينة، وما بدا منه في بيان الحجة للتحرك إلى العراق، والحكم الشرعي الذي ظلَّ ملازماً له طول حركته ولم يغب عنه لحظة، عين كانت تقع في نظام تجسيد اقناع الأمة بضرورة العودة إلى حكم الله في خلقه، ووضع الاشياء موضعها الطبيعي والترفع عن مغريات الدنيا وترك غصب الحقوق وظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

لقد تحرك حسين (الإنسانية) بطريقة التذكير لكل إنسان على وجه الخليقة، من أجل احقاق الحقوق ومواجهة محاولات تغيير معالم الكتب السماوية، ولم يكن في ذلك مجبراً لأحد بل استخدم نظام التثقيف العلمي، وترك حرية الاختيار لصاحب العقل الرشيد، وبعد ذلك وقبيل ليلة العاشر من محرم عاد من جديد ليطرق أسماع من تبعه بأن ثورته ليست ثورة الجبابرة التي تحرق الأبرياء من أجل عروش زائفة أو منافع زائلة، بل هو تكليف شرعي يرى فيه إقامة الحق ونصبَ منبر لكل مظلوم سيبقى يرتقيه المطالبون بحقوقهم مرور الليالي والأيام.

إن الإمام الحسين عليه السلام قد قدَّم نفسه من أجل إحياء الإسلام فهو القائل: (إن كان دين محمدٍ لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني)، فالإمام الحسين عليه السلام

كان امتداداً مستمراً لجده المصطفى ﷺ، وكما جاء في مسند أحمد: (حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط)، والمتأمل يلحظ مدى الاندماج بين الرسول الاعظم ﷺ وريحانته الإمام الحسين عليه السلام فهو امتداد للرسالة السماوية.

فيجب علينا أن نعيش الذكرى متعمقين في تلك المبادئ لتصبح رسالتنا الأبدية التي بها يصلح المجتمع وتعيش الأمة في عزها ومجدها الذي أسسه الأنبياء عليهم السلام على مرّ التاريخ.

وهو فرصة ثمينة لكل المسلمين في العالم شرقه وغربه متعمقين في تلك المبادئ الإسلامية الأصيلة، فالأجواء مناسبة لبث رسالة إلى كل العالم للتجمع في هذا الوقت للتباحث في حال المسلمين في وقتنا الراهن، فقد مزقتنا الخلافات والتباغض، فلماذا لا نستفيد منه لوضع برامج تعيد إحياء الإسلام من جديد؟ وإرجاع القرآن إلى الحياة، وتوعية المسلمين، وإحياء السنة النبوية، وإصلاح المجتمع، واستنهاض الأمة. فنحن الأولى بهذا لأننا كمسلمين نحمل ثقافة الإسلام، وقبلتنا واحدة، وقرآننا واحد، ونبينا واحد، وهو ﷺ الذي حثنا على التمسك بأهل بيته عليهم السلام.

إن الإمام الحسين عليه السلام قد قام بنهضته المباركة من أجل انقاذ الدين من الهلاك وقد أعلن مشروعه الإصلاحي في كل موطن ومكان، وأقام الحجة على جميع الناس، وقدّم نفسه من أجل الإسلام ورفض مبايعة الظالمين.

فيا أيها الناس، الإمام الحسين عليه السلام ليس لطائفة دون أخرى، فالإمام الحسين عليه السلام لكم جميعاً فاتبعوه، وتنافسوا في حبه وخدمته، وليحب كل منا

الإمام الحسين عليه السلام بطريقته، ولا تعتبوا على البعض في أساليبهم، فلقد سرى فيهم حب الإمام الحسين عليه السلام، وليتعلم كل منا من الإمام الحسين عليه السلام، وفي ظل العولمة والطفرة الاعلامية الكبرى وتكاثر أجهزته من إنترنت وأقمار صناعية وفضائيات، فإن الإمام الحسين عليه السلام قادم نحو العالمية سريعاً ولا يسبقكم إليه غيركم.[1]

---

(١) المراجع:

- أعلام الهداية الإمام الحسين عليه السلام المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.
- الإمام الحسين عليه السلام قدوة وأسوة (لآية الله محمد تقي المدرسي).
- حقيقة النهضة الحسينية (الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري).
- الإمام الحسين عليه السلام ريحانة النبي صلى الله عليه وآله (الشيخ كمال معاش).
- الإمام الحسين عليه السلام سماته وسيرته (المحدث والمؤرخ الشامي ابن عساكر).
- رد الأباطيل عن نهضة الحسين عليه السلام.
- الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام (السيد عبد الكريم الحسني القزويني).
- الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الضلال الاموي (السيد سامي البدري).
- فاجعة الطف... أبعادها، ثمراتها، توقيتها (السيد محمد سعيد الطبطبائي الحكيم).
- ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية (الشيخ محمد مهدي شمس الدين) حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام (السيد محمد الرضا الحسيني الجلالي).
- الأخلاق الحسينية (جعفر البياتي).

الشهادة الحسينية هي عنوان الخلود لملحمة كربلاء

سماحة السيد رياض الحكيم

نجل المرجع الديني الكبير آية الله العظمى

السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

ولد في مدينة النجف الأشرف ودرس في

مدارسها وتتلمذ على يد مراجع العظام

والسادة الأفاضل من علماء الحوزة الدينية

المباركة له العديد من المؤلفات والمشاركات

الثقافية والفكرية والبحوث المنشورة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١)

... تمهيد ...

لاشك أن كل ثمن لابد أن ينسجم مع المثمن بالبخس، ولا يضحي بالغالي أو بمن يعز عليه إلا إذا كان يترتب على تلك التضحية ما هو أهم.

وفي ملحمة كربلاء تحضر هذه الحقيقة الآنفة، فالتضحيات الجسام التي قدمت فيها، والحرمات انتهكت من قتل الإمام الحسين عليه السلام وهو أحد أصحاب الكساء، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، وكذلك الثلة من أهل البيت والأصحاب عليهم السلام بالوحشية المفرطة التي سطر جانباً منها التاريخ، مثل رض الأجساد وقطع الرؤوس والتمثيل البشع بالأجساد، ناهيك عن سبي عقيلات بيت الرسالة وأطفالهن واستعراضهن مع رؤوس الشهداء، وذلك على يد حفيد من كان خصماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكل ذلك باسم الشرعية الإسلامية في بلاد المسلمين، إنه أمر لم يكن يخطر ببال أحد أن يحدث كل هذا خلال فترة قصيرة لا تتجاوز خمسين عاماً من رحيل النبي المصطفى صلى الله عليه وآله.

أمام هذه التضحيات الجسام والفجائع يقفز إلى الذهن السؤال عن مدى إيجابيات هذه الملحمة؟ وهل كان تصدي الإمام الحسين عليه السلام والتضحية بشخصه وأهل بيته وأسرته وأصحابه ضرورياً؟ وهل الثمار التي ترتبت على ذلك تستحق هذه التضحية وما رافقها من مآسٍ؟

(١) سورةُ النّحل، الآية (٩٠).

وللإجابة على هذا السؤال، لابد من وقفة ومراجعة الظروف التي أحاطت بالإمام الحسين عليه السلام، ومعرفة المخاطر التي واجهت الأمة خلال المرحلة المفصلية التي مرت بها عند بيعة يزيد بن معاوية، والاشكالية التي عالجتها الثورات والحركات الإصلاحية في مواجهة الطغاة والمستبدين.

أهم معوقات الإصلاح:

إن أهم ما يواجه القادة المصلحين والثورات والحركات الإصلاحية يمكن تلخيصه بعدة امور:

أولاً: سطوة السلطات المستبدة

حيث يستخدم الطغاة عادة كل ما متوفر لديهم من وسائل الترغيب والترهيب والقسوة في مواجهة معارضيهم، من اجل قمعهم وتضييق الخناق عليهم وإبعاد الجمهور عنهم.

ثانياً: استغلال السلطة للدين وتلاعبها به واعتباره أحد الوسائل والأدوات الداعمة لها، وهذا الأمر ملحوظ قديماً وحديثاً، حتى روي عن معاوية قوله: (الإرجاء دين الملوك)، كما حكي عنه قوله: (الأرض لله وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما تركته للناس فبفضل مني).

ثالثاً: سعي السلطات دوماً - خاصة الدينية - لإضفاء الشرعية المزيفة، مستغلة إمكاناتها الهائلة المادية والاعلامية وعلماء البلاط ورجاله.

فعن أبي إسحاق قال: كان شمر بن ذي الجوشن يصلي معنا الفجر ثم يقعد حتى يصبح، ثم يصلي فيقول: أللهم إنك شريف تحب الشرف، وأنت تعلم أني شريف، فاغفر لي، فقيل له: كيف يغفر لك وقد خرجت إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فأعنت على قتلهِ؟ قال:

ويحك، فكيف تصنع؟ إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر، ولو خالفناهم كنا شراً من هذه الحمر.

رابعاً: حرمة دم المسلم وحرمة قتله

وهذا ما أكدته المصادر الإسلامية وحذرت منه أشد التحذير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾[1]، وفي الحديث عن أحدهما قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: يا رسول الله، قتيل في جهينة. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي حتى انتهى إلى مسجدهم. قال: وتسامع الناس فأتوه. فقال صلى الله عليه وآله: **من قتل ذا؟** قالوا: يا رسول الله ما ندري. فقال صلى الله عليه وآله: **(قتيل بين المسلمين لا يُدرى من قتله؟ والذي بعثني بالحق لو أن أهل السماء والأرض شركوا في دم امرئ مسلم ورضوا به لأكبهم الله على مناخرهم في النار أو قال: على وجوههم)**.

ولعلة ذلك ولأجل إقامة الحجة على الخصوم، كان الإمام علي عليه السلام رغم أنه يمثل الشرعية بكل المقاييس، لا يبدأ معارضيه بالقتال في الحروب الثلاثة التي خاضها (الجمل وصفين والنهروان).

وكذلك الإمام الحسين عليه السلام لم يبدأ أعداءه بالقتال، حيث امتنع أولاً من مقاتلة جماعة الحر بن يزيد الرياحي، رغم أنهم جاؤوا لتطويقه عندما حثّ زهير ابن اليقين على قتالهم قائلاً: إن قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال من يأتي بعدهم. فأجابة عليه السلام: **(ماكنت لأبدأهم بالقتال)**، وكذلك يوم عاشوراء، لم يكن هو عليه السلام البادئ في القتال، بل بادر عمر بن سعد بذلك حيث رمى خيام الإمام الحسين عليه السلام بالسهام وقال لأصحابه: اشهدو لي عند الأمير أني أول من رمى. وتبعه الرماة برمي السهام

(١) سورةُ النِسَاء (٩٣).

حتى أصيب عدد من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وعلق بعضها بأزر النساء.

خامساً: لزوم الجماعة والتحذير من شق كلمة المسلمين

تضمنت العديد من الآيات والروايات التأكيد على وحدة الصف، والتحذير من إيجاد الخلاف والشقاق بين المسلمين، قال تعالى ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[1]. وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله انه قال: **(لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض).**

رغم أنه المقصود من ذلك هو اجتماع المسلمين على الحق ومتابعه الإمام العادل دون غيره، كما دلّ عليه تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[2]. وعندما كتب عمر بن سعد للإمام الحسين عليه السلام كتاباً جاء فيه: (فإني أعيذك بالله من الشقاق....)، أجابه الإمام الحسين عليه السلام بكتاب جاء فيه: **(وأنه لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقال إنني من المسلمين).**

ولذلك قال اسحاق ابن رهواية: لو سألت الجهال عن السواد الأعظم قالوا: جماعه الناس ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي صلى الله عليه وآله فمن كان معه وتبعه فهو من الجماعة، ومن خالفه فيه ترك الجماعة.

لكن الكثير قد لا يستوضحون المقصود من ذلك، فيحذرون من مخالفة الرأي العام التابع للسلطة الغاشمة حذراً من انطباق الشقاق عليهم، خاصة إن إعلام السلطات وتداعياتها تكرس ذلك وتثقف الرأي العام على ذلك، مستغلة بعض مطامع رواة الحديث وغيرهم، فقد قال عمرو بن الحجاج يوم عاشوراء:

---

(١) سورةُ آل عِمرَان، الآية (١٠٥).

(٢) سورةُ آل عِمرَان، الآية (١٠٣).

(يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق في الدين وخالف الإمام)، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: **(يا عمرو بن الحجاج أعليَّ تحرض الناس؟ أنحن مرقنا في الدين وتبتم عليه؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ومتم على أعمالكم، أينا مرق في الدين، ومن هو أولى بصلي النار)**.

وقد رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **(من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية)**. وقال الشوكاني تعقيباً على الحديث المذكور: (فيه دليل على وجوب طاعة الأمراء وإن بلغوا في العسف والجور إلى ضرب الرعية وأخذ أموالهم، فيكون هذا مخصصا لعموم قوله تعالى: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[1].

سادساً: حرمة وقدسية منصب الخلافة

تضمنت الخلافة الإسلامية منصب الإمامة والخلافة، تعميق هذا المفهوم في الذهنية الإسلامية العامة، وهو أمر طبيعي باعتبار المنصب المذكور امتداداً لإمامة النبي صلى الله عليه وآله وولايته، ولذلك قال عثمان بن عفان – عندما أصرّ الثوار على تنازله عن الخلافة: (والله لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله). وكان يفترض أن يكون ذلك مدعاة للإهتمام بمن تتوفر فيهم المؤهلات الخاصة التي تؤهلهم لهذا المنصب الحساس والخطير، بحيث ينسجم صاحبه في شخصيته وسلوكه مع شخصية وسلوك النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، باعتباره خليفة وإمام المسلمين بعده، لكن الكثير من يغفلون عن ذلك ويحذرون من مخالفة الحاكم المسلم الجائر، خصوصا بملاحظة جهود السلطات وأنصارها لتطبيق ذلك على أصحابها، وإيهام الأمة بانطباق حرمة المنصب المذكور على مناصبهم ومواقعهم.

---

(١) سورةُ الشّورى، الآية (٤٠).

هذه هي المعوقات الأساسية التي واجهت المصلحين والمعارضين للأنظمة الفاسدة، وتحول دون إقناع الجمهور بشرعية الثورة على الطغاة والحاكمين ومعارضيهم. وهنا تكون هذه الثورات والحركات الإصلاحية ذات البعد الديني بحاجة ماسة إلى وجود الثائر الرمز المؤهل للريادة في التضحية والشرعية.

ولم يكن في السلام قبل الإمام الحسين عليه السلام وثورته ما يصلح أن يكون رمزاً ورائداً في ذلك المجتمع الإسلامي، شهد المعارضة المسلحة في عهدي عثمان والإمام علي عليه السلام، وكلتاهما لم تتوفر فيها شروط الريادة والاستقطاب، أما المنتفضون على عثمان فكانوا من عامة المسلمين، ولم تكن لهم مواقع ومكانة متميزة مثل الصحابة ليؤسسوا الشرعية الثورة. أما خصوم الإمام علي عليه السلام فهم من الناكثين والقاسطين والمارقين، فبالإضافة إلى مخالفة جل الصحابة معهم، فإن كثيراً من مواقفهم كانت سلبية على الصعيد الإسلامي العام، باعتبارها صدرت في مواجهة رمز الشرعية والعدالة، ما أضعف مواقف الثورات اللاحقة، فكان بإمكان كل حاكم أن يوحي للأمة بأن معارضيه لا يختلفون مع معارضي الإمام علي عليه السلام في فقدانهم الشرعية.

الإمام الحسين عليه السلام رائد في التضحية والشرعية:

أشرنا قبل قليل أن التحديات والمعوقات التي تواجه المصلحين والثائرين تفرض عليهم الحاجة إلى رمز تتوفر شروط الريادة لمن بعده، وذلك يتوفر في الإمام الحسين عليه السلام وحركته الإصلاحية، وذلك من بعدين:

الأول: التضحية

إن تضحية الإمام الحسين عليه السلام بنفسه مما يمتلكه من رصيد متميز باعتباره أحد ائمة أهل البيت عليهم السلام وسيد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء،

وينتمي إلى جيل الصحابة، كل ذلك يهون على من بعده مهما بلغ من الشأن والمقام أن يستعد للتضحية بنفسه، كما أن الفجائع التي ارتكبتها السلطة الأموية في كربلاء من قتل الأطفال والتمثيل بأجساد الشهداء وقطع الرؤوس وسبي عقيلات البيت النبوي، والتنقل بهم في تلك الحالة المزرية من كربلاء إلى الكوفة وإلى الشام. إن التضحية بكل ذلك تشد عزائم الثوار، وتثير مشاعر الجماهير الغاضبة وتهون عليهم تضحياتهم، وتخفف عليهم معاناتهم، ولذلك نلاحظ التفاعل الجماهيري المستمر عبر الأجيال مع فاجعة الإمام الحسين عليه السلام أكثر حرارة من تفاعلهم مع مصيبه جده المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه الإمام علي عليه السلام وأخيه الإمام الحسن عليه السلام وأمه الزهراء عليها السلام، وكان ذلك من أسباب تأكيد الأئمة اللاحقين على التذكير المستمر بالفاجعة، ففي حديث ابراهيم ابن أبي محمود قال: قال الرضا عليه السلام: **(إن المحرم شهر أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال فاستحلت فيه دماؤنا، وانتهب ما فيه من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا، إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء)**.

الثاني: الشرعية

إن حركة الإمام الحسين عليه السلام بما يمتلكه الإمام الحسين عليه السلام من رصيد ذاتي أسست لشرعية معارضة الحاكم الظالم، ونبهت الأمة إلى زيف أقنعة الظالمين، فالإمام الحسين عليه السلام وحركته يمثلان الشرعية بكل المقاييس وذلك من خلال ملاحظة ما يلي:

١. أنه أحد آل البيت عليهم السلام المشمولين بآية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1]، وهو وأخوه الإمام الحسن عليه السلام سيدا شباب أهل

(١) سورةُ الأحزَاب، الآية (٣٣).

الجنة، وهو عليه السلام المشمول بحديث الثقلين اللذين خلفهما النبي صلى الله عليه وآله لأمته حين وفاته.

٢. إنه ينتمي إلى جيل الصحابة الذين يعتبرهم كثير من المسلمين من مصادر الشرعية الإسلامية.

٣. ورود العديد من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وغيره بالأخبار والتنبؤ بقتل الإمام الحسين عليه السلام، ففي حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله (ثم خرج إلى أصحابه -وفيهم علي وأبو بكر وحذيفة وعمار وابو ذر رضي الله عنهم- وهو يبكي فقالوا: مايبكيك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: **(أخبرني جبرائيل إن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه)**.

وقال ابن الأثير: قال عبد الله بن شريك: (أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري إذا مر بهم

عمر بن سعد، قالوا: هذا قاتل الحسين. وذلك قبل أن يقتله).

٤. فقدان يزيد الشرعية بكل المقاييس:

أولاً: باعتبار أن من شروط صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية إنه لا يستخلف أحداً من بعده.

ثانياً: إن تعيينه كان على أساس نظام التوريث القبائلي، وفرضه معاوية بالإرهاب والسيف، فإنه حين أراد فرض البيعة ليزيد، جمع الوفود لذلك، تكلم فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحقها وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر، ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة، وعرض بيعته فوافقه من حوله من أعوانه من أهل الشام، ثم قام يزيد بن المقنع العذاري فقال: هذا أمير المؤمنين – واشار إلى معاوية – وإن هلك فهذا – وأشار إلى يزيد – ومن أبى فهذا – وأشار إلى سيفه. فقال معاوية: إجلس فأنت سيد الخطباء.

ثالثاً: إن شخصية يزيد كانت أبعد ما يكون عن مؤهلات الخلافة، فقد كان شاباً نزقاً معلناً للفسق ومتمادياً في الفجور، حتى عرف عن ذلك بين المسلمين، ففي الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام: (ويزيد شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلن الفسق).

انعكاسات ثورة الإمام الحسين عليه السلام:

بدأت انعكاسات حركة الإمام الحسين عليه السلام عقيب استشهاده، حيث عم الوجود والسخط المجتمع الإسلامي حتى سمي ذلك العام عام الحزن، وذكر البكري أنهم كانوا يقولون: (ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء)، مما أوجد الندم ومحاولة التخلص من عبء المسؤولية من جانب قتلته ابتداء من يزيد ومروراً بابن زياد وعمر بن سعد وغيرهم. فقد قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله من أهله وهو يقول في طريقه: (ما رجع أحد بمثل ما رجعت، اطعت الفاسق ابن زياد، وعصيت الحاكم العدل وقطعت القرابة الشريفة). ونظير ذلك موقف عبيد الله بن زياد، كما أن يزيد حاول التنصل من المسؤولية حيث قال: (لعن الله ابن مرجانه فانه اضطره... فقتله، فبغضني بقتله المسلمين وزرع في قلوبهم العداوة فأبغضني البر والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، مالي وابن مرجانة، لعنه الله وغضب عليه).

وكان أبرز انعكاسات ثوره الإمام الحسين عليه السلام سلب الشرعية عن الحاكم ابتداء من الحكم الأموي وقد سجل المؤرخون تأثير الثورة على العديد من الحركات والثورات المناوئة نذكر منها:

أولاً: حركة عبد الله بن الزبير ضد الحكم الأموي

فإنه – رغم بغضه للإمام علي عليه السلام وبني هاشم – خطب بعد فاجعة الطف فذكر الإمام الحسين عليه السلام وقال: (ولكنه اختار الميته الكريمة على الحياة الذميمة

فرحم الله حسيناً وأخزى قاتل حسين... أفبعد الحسين نطمئن على هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً؟ لا ولا نراهم لذلك أهلاً أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً في النهار صيامه، أحق بما فيهم منهم ...).

ثانياً: انتفاضة أهل المدينة في واقعه الحرة

فان حالة الغضب المستعرة التي خلفتها فاجعة كربلاء أوجدت أرضية مناسبة لإنتفاضة أهل المدينة ضد حكم يزيد، وقد بقي تأثير الفاجعة ماثلاً أمام الحكام الأمويين، حتى أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج عندما كان عامله على الحجاز: (جنبني دماء آل أبي طالب فإني رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين نزع الله ملكهم).

ثالثاً: حركه التوابين في الكوفة

فإنها ارتكزت على الثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام ومقاومة الأموين (وقد صبحوا قبر الإمام الحسين عليه السلام فأقاموا به ليلة ويوماً يصلون عليه ويستغفرون له، فلما انتهى الناس إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام صاحوا صيحة واحدة وبكوا فما رئي يوم كان أكثر باكية منه).

رابعاً: حركة المختار

فإنها اعتمدت شعار مقاومه الأمويين والثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وبعد أن سيطر على الكوفة، أمر مناديه فنادى: (من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شرك في دم آل محمد صلى الله عليه وآله).

خامساً: ثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

فإن زيداً استند في شرعية حركته على موقف جده الإمام الحسين عليه السلام

وسلبه شرعية الحكم الأموي الغاشم.

سادساً: حركة العباسيين

حيث بقيت دماء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه رضي الله عنهم تغلي وتدك عروش الأمويين، حتى استثمر ذلك العباسيون في حركتهم التي رفعت شعار (الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله)، وذكّرت بتضحيات الإمام الحسين عليه السلام وباقي أهل البيت رضي الله عنهم، ففي كلمة لقحطبة مخاطباً أهالي خراسان، فإنه بعد أن استعرض مواقف المسلمين الأوائل قال: (ثم بدلوا وغيروا وجاروا في الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، فسلطكم عليهم لينتقم منكم بهم لتكونوا أشد عقوبة، لإنكم طلبتموهم بالثأر). وفي رسالة للمنصور العباسي وجهها إلى محمد بن عبدالله بن الحسن جاء فيها: (... ثم خرج عمك حسين بن علي على ابن مرجانة، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان، حتى قتل يحيى بن يزيد بخرسان، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء، وحملوكم بلا وطاء في المحافل كالسبي المجلوب إلى الشام، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم وأدركنا بدمائكم).

وبقيت شعلة الثورة الحسينية وهاجة بعد سقوط الأمويين وعلى مر الأجيال اللاحقة، وإلى عصرنا الحاضر حيث يفتخر بالانتساب إليهما الثائرون ويستنير بها المخلصون، بعد أن سلبت الشرعية من الطغاة والظالمين، وحصنت مبادئ الإسلام وتعاليمه وأحكامه من الضياع والإندراس، وعززت مواقف المؤمنين وثباتهم على الحق ومواجهة الظلم والظالمين.

الإمام الحسين عليه السلام
يهدي إلى الحق
ويدعو إلى العدل

سماحة العلامة السيد علي الحسيني الميلاني
ولد في شهر رمضان سنة ١٣٦٧ في النجف الأشرف والده العلامة الحجة آية الله السيد نور الدين الميلاني أكمل دراسته في المقدمات والسطوح في الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وله كتاب تحقيق الأصول على ضوء أبحاث المرجع الوحيد الخراساني كما إشتغل بالتدريس والتأليف وله العديد من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقهِ محمد وآله الطاهرين... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أتشرف بتقديم التهاني إلى إمام العصر والزمان ﷺ... أبارك لكم ولادة سيدنا الإمام أبي عبد الله الحسين وسيدنا الإمام زين العابدين وسيدنا علي بن الحسين وسيدنا أبي الفضل العباس ﷺ، وأسال الله عز وجل أن يوفقنا للسير على هداهم والعمل بتعاليمهم والتقرب بهم إلى الله. كما قال أحد الفقهاء:

تصاعدت في مراقي العز رتبهم فظن أنهم لله أقران

ولا تقس فضلهم بالأنبياء أجل سلمانهم بعد تصغير سليمان

وبعد... فقد قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾[1]، وفي هذه الآيه المباركة دلالات، فهي تدل:

١. على أن الإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ إنما هي بيد الله لا بيد الناس

٢. على أن الغرض من نصب الأئمة هداية الناس إلى العدل.

٣. على أن الشرط لمن يتولى هذا المنصب هو الصبر على اليقين.

ثم إن المقصود من الهداية والعدل تطبيق ما جاء به الكتاب والسنة وفي جميع الشؤون الفكرية والعلمية والثقافية والأخلاقية. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا

(١) سورةُ السَّجدَة، الآية (٢٤).

لَنا عابِدِينَ﴾[1]. ومن الواضح أن الإمام الداعي إلى الكتاب والسنة يعتب فيه أن يكون عالماً بهما محيطاً بأسرارهما. وأن يكون عاملاً بهما كما قال عز وجل: ﴿وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾، وإلا فلا يكون داعياً اليهما بل يكون داعياً إلى نفسه.

ثم إن الأدلة القطيعة من العقل والنقل قد دلت على إن المصاديق التامة للأئمة الذين يهدون بأمر الله تعالى هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وهكذا ورد في التفسير. وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[2]، فانه صلى الله عليه وآله قال: **(انا المنذر)** وأومأ إلى منكب علي عليه السلام فقال: **(أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي)**. وقد أخرج هذا الحديث كبار الحفاظ كعبد الله بن أحمد في مسند أبيه، وابن أبي حاتم والطبراني والضياء المقدسي وأبي نعيم الأصفهاني والحاكم النيسابوري وابن عساكر الدمشقي وجلال الدين السيوطي وغيرهم. وقد صححه غير واحد منهم كالحاكم. وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال المسند ثقات. وتجد الحديث في كتب الأئمة المفسرين مثل الطبري والثعلبي والرازي وابن كثير وغيرهم.

وهذ الحديث كما يفسر الآية المذكورة ،كذلك يفسر قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾[3]، فالإنذار والبلاغ مهمة الرسول صلى الله عليه وآله ولذا جاء بصيغة الحصر برسول الله صلى الله عليه وآله كقوله تعالى: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾.. ﴿إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾.. ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾.. أما الهداية فهي

(١) سورةُ الأنبيَاء، الآية (٧٣).

(٢) سورةُ الرّعد، الآية (٧).

(٣) سورةُ السَّجدَه، الآية (٢٤).

مهمه. مما يدل على ذلك إن الهداية بمعناها العام المطلق كما تقتضي العلم تقتضي العصمة، ولا معصوم بعد النبي ﷺ إلا الأئمة من أهل بيته عليهم السلام. ولذا جعل الله تبارك وتعالى حفظ الإسلام والهداية إلى معالمه ومبادئه وتطبيق العدالة في الأرض بعهد الأئمة الطاهرين عليهم السلام، ولذلك نصبهم وأمر بالتمسك بهم والتلقي منهم والإنقياد لهم في أحاديث كثيره ثابتة كحديث الثقلين بألفاظه المتعددة، كقوله ﷺ: (إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا من بعدي....).

هذا الحديث المتواتر الدال على عصمة أهل البيت عليهم السلام وأفضليتهم من غيرهم، والدال أيضاً بضميمة حديثين متواترين آخرين، وبقطع عن سائر الأدلة أحدهما: قوله ﷺ: (الأئمة من بعدي اثنا عشر)، والثاني قوله ﷺ: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). على أن الأرض لا تخلو من إمام منهم إلى قيام الساعة، وإن المهدي هو الإمام الثاني عشر منهم، وأنه حي موجود. لكن والذي حدث أن بعض الصحابة قال: (حسبنا كتاب الله)، فعُزلت العترة عن قيادة الأمة وحرمت الأمة من هداية العترة. لقد خسرت الأمة أكبر خسارة بعزل العترة عن قيادتها وتوالت عليها الويلات، حتى وصل الأمر إلى حكم يزيد بن معاوية، وهو مشهود له من الصحابة وكبار التابعين بالفسق والفجور وجميع الموبقات.

وليت شعري أكان القائل (حسبنا الله) يعلم أن الامر يصل بعد سنوات قليلة إلى يزيد؟ وأنه سيقول: (لاخبر جاء ولا وحي نزل)، فكادت الأمة أن تخسر الكتاب والعترة معاً، ولا أحد أولى من أئمة الهدى بأن يثبتوا على مبادئ الإسلام النبوية ويدعو الأئمة للثبات عليها؟

هذا ما قام به أمير المؤمنين والإمامان الحسنان (صلوات الله عليهم) لما رأوا الانحرافات، فثبتوا في القول والعمل وبينوا للمسلمين وجه الحق ودعوهم إلى الثبات، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1].

وقد بدأ الإمام الحسين عليه السلام مواجهته الصريحة لمعاوية لما أراد أن ينصب ابنه يزيد - كما ذكر المؤرخون - وكان مما قال له لما اجتمع به: **(هيهات يا معاوية فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج... وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد صلى الله عليه وآله. تريد أن توهم الناس في يزيد؟ كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان مما احتويته بعلمٍ خاص؟** وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه... **ودع عنك ما تحاول مما أُغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فو الله ما برحت تقدح باطلاً في جور وحنقاً في ظلم، حتى مالأت الاسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص).**

هذا هو الثبات على المبدأ وهداية الناس على المبدأ، قد قال تعالى: ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

---

(١) سورةُ الأنفَال، الآية (١٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٦).

ولا عجب في ذلك فالحسين عليه السلام من أئمة الهدى الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾[1].

قد كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام حركة إلهية والشواهد على قوله عليه السلام لشيخ لقيه في الطريق فقال له: أنشدك الله لما انصرفت فو الله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف. فقال عليه السلام: **(يا عبد الله ليس يخفى عليَّ الرأي وإن الله تعالى لا يغلب على أمره)**.

لقد دعا الإمام الحسين عليه السلام لطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله لقوله تعالى: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2]. وقد أخبره جده صلى الله عليه وآله بما قدر الله له، وأخبر أمه عليها السلام بذلك، وبكى صلى الله عليه وآله عليه في حياته، فرضي الإمام عليه السلام بقضاء الله تعالى وقدره، وقدم روحه وأعز أولاده واخوته وأصحابه فداء طاعته لربه عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: **(رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله)**.

فالحمد لله الذي شرفنا بأئمة يحفظون دين الله، ويهدون بأمر الله حتى لو كلفهم ذلك أرواحهم الغالية. ثم إن التابعين للإمام الحسين عليه السلام هم أهل الثبات فقد علم الإمام الحسين عليه السلام الثبات على الحق والتضحية من أجل مبادئ الإسلام، فقال: **(أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى منكم سلطاناً**

---

(١) سورةُ السَّجدَه، الآية (٢٤).

(٢) سورةُ الحَشر، الآية (٧).

ثورة النبوة على يد الحسين عليه السلام

السيد علي السيد حسين مكي العاملي
هو قاضي المحكمة الشرعية في لبنان
ولد في لبنان ودرس في حوزة النجف
الأشرف وتتلمذ على يد العديد من العلماء
والأفاضل وله العديد من المؤلفات المطبوعة
والمخطوطة في العقيدة والتخطيط
والتفسير

جائراً مستحلاً لحرمات الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حق على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله. وأنا أحقّ من غيرّ).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف في وجه الظلم من مبادئ الإسلام التي ثبت عليها الإمام الحسين عليه السلام ودعانا إلى الثبات عليها، إذا اجتمعت شروطها الموضوعية كما هي في عصره وعصر أبيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما).

للمؤمنين أسوة في الإمام الحسين عليه السلام في حفظ القرآن والأخذ به والعمل بالفرائض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف في وجه الظلم، بحسب الموازين الشرعية.

فيا أهل الإيمان، الله الله في القرآن، الله الله في أحكام الإسلام، الله الله في سنن النبي صلى الله عليه وآله، الله الله في تعاليم أهل البيت عليهم السلام، الله الله في الشعائر الحسينية... فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين الذي برأ البرايا فخلق، وأحكم ما أوجد، حتى اتسق وزين السماء بالنجوم ما لاح منها وما خفق، وأخرج النبت والشجر ما استراح منه وما بسق، وجعل خلاصه الإنسان في العلم والتقوى والنور والفلق، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله سادة الطهارة والنجابة والألق...

في البدء أتوجه الى النجف لأحيي الثرى الثريا التي احتضنت نور أمير المؤمنين عليه السلام، وأعطف على شهيد النبوة، سيد شباب أهل الجنة، لأشمّ ثراه في ذكرى ولادته، وعلى أبي الفضل والأبا عليه السلام... وأنحني إجلالاً أمام أصحاب الكرم الذي غدوا في منى الطفوف أضاحي... وأمر بخشوعٍ وخجل الأدب أمام معلم الكاظمين والعسكرين عليهم السلام، وكل المراجع العظام النجباء الذين ضاع عبيرهم في أرجاء العراق، أرض الخلاص والمقر الرئيس في حركه الزمان لصاحب الزمان عجل الله فرجه حيث يدور على الجور والظلم ويصبغها بلون العدل والقسط... راجين كل المساهمين ادارة وتشريفات وحماية من ربيع الاحياء لشهادة من أجل حياة الكرامة والعدالة والقيم...

بين لبنان وبين العراق مصاهرة تاريخ وحب وعلم وتواصل... فلا شعاع عندنا إلا من شموس شموعكم... فمن لبنان الذي حل الكراجكي في صور، وحل ابن طرابلس قاضياً موجها وراسل المرتضى أهل صيدا وصور حيث غمر الجبل بالحب والآلاء لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، مروراً من لبنان الشهيدين، من لبنان المصر على عزف شعارات ثورة الحسين عليه السلام، ليلهب معكم أسماع العالم بأن طريق الحسين عليه السلام هي الأوسع في استيعاب الأمة واستعادة أصول دينها...من لبنان العاشق لعراق المقدسات نقول للعالم بشكل عام وللمسلمين بشكل خاص: إنا ما آمنا بالحسين عليه السلام وآل الحسين عليهم السلام بمعزل عن النبوة وشعاراتها ودعوتها لبقاء

الشريعة صرخة مستمرة في وجه الطغاة تحقيقاً لأحلام الشعوب الذين لايخافون في الله لومة لائم... وما نقوله ليس بدعاً في قول ولا عاطفةً ولا عصبيةً أو ميلاً، فالارتباط بالحسين عليه السلام أكبر من عاطفة وأعظم من انفعال، لقد فتح الرسول صلى الله عليه وآله لنا هذا الباب، سيجمع عناصر الثورة ضد البيض وتتوفر في ظروف إن أحكمنا محاكاتها وتقديمها أعاد لنا هذا الباب قصور الرسالة ورياش العدل والنوم على أثير الأمان والسلام... فالقيادة والولاية والإمامة في الحفاظ لقداسة القانون.

من هنا كان الحسين عليه السلام عنواناً لكمال الدين، وعكاظاً نستعيد فيه دون سبق، ومباراة ملاعنة قواعد فكرنا في المجال السياسي والاجتماعي والاداري بشكل عام. هكذا عرفنا الحسين عليه السلام وهكذا تقدم الحسين عليه السلام ثائراً من خط النبوة بمعناها العام، ولابأس بعرضٍ وجيز، نحكم فيه بمرجعية هذه الثورة الى أصولها النبوية:

- ألم يرو لنا ابن حنبل في مسندة ج٢ ص٥٣٢ **(من أبغضهما فقد أبغضني)** أي في الحسن والحسين عليهما السلام.
- ألم يرو لنا ابن ماجد في صحيح حديث ١٤٥ ص٣٢ عن زيد بن الأرقم النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي وفاطمة والحسن الحسين عليهم السلام: أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم.
- ألم ينقل الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام وقال: **(من أحبني وأحب هذين كان معي في درجة يوم القيامة)** الحديث ٣٧٣٣، وروي أيضاً عن علي عليه السلام: **(ما انتجبته لكن الله انتجبه)** حديث ٣٧٢٦ عندما حاول بعضهم الغمز في مناجاة النبي صلى الله عليه وآله له.
- ألم يوضح مسلم بن صحيح - الحديث ٢٤٤ - عندما نزلت الآية في قضية

المباهلة ﴿تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ﴾[1] أن الرسول ﷺ قال: **(اللهم هؤلاء أهلي)**، وروي أيضاً الحديث الشهير **(إني تارك ثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا)** حديث.

- ألم يصدح البخاري في صحيح راوياً سنده الى ابن عباس عن الرسول الأكرم ﷺ في الحسن والحسين عليهما السلام **(هما ريحانتاي في الدنيا)** حديث٥٩٩٤، بل روي في الحسن عليه السلام **(اللهم أحبه وأحب من يحبه)** حديث٢١١٢.

- وأما النسائي فروى عن الرسول الأكرم ﷺ كيفية الصلاة عليه، قال: **(قولوا أللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم)** صحيح النسائي ج٣ ص٤٥. بل روي على ما يقرح الفؤاد بالمقارنة على ما حصل على أرض الطف. فقد روى النسائي أن رسول الله ﷺ أطال سجوده على غير عادة ولما انتهى من صلاته سُئل عن سر ذلك قال: **(فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته)** ج٢ص٢٣٠.

من يسير ما ذكرنا ومن كثير ما أعرضنا عن ذكره رعاية للحال والمقال من أجل النبي ﷺ والنبوة ارتبطنا بالحسين عليه السلام وقدمنا للحسين عليه السلام وأبينا الدخول إلا عن باب الحسين عليه السلام، باب الثورة والتصحيح والصرخة في وجه الطغاة المحتلين والظالمين والجبابرة.

الحسين عليه السلام لا أُعطيكم بيدي اعطاء الذليل.. وهيهات منا الذلة..

من أجل النبي ﷺ والنبوة حملنا رسالة الحسين عليه السلام للعالم دون مذهب وطائفة وقبيلة وعرق فمذهب الحسين عليه السلام مذاهب النبوات وثأر الله، ودعوة

---

(١) سورةُ آل عِمرَان، الآية (٦١).

للحق والعدل والصدق والأمانة والجوار والتعايش وتقديس الاخوة والرابطة ولذا كان الحسين عليه السلام الوارث للأنبياء.

من أجل النبي صلى الله عليه وآله والنبوة سالت دموعنا على الحسين عليه السلام، نتبوأ من الجنة، ونقيم له ندوات الحق الممزوجة بطعوم الحزن والأسى على الجسد المرمل والرأس الذبيح والكفوف المقطعة والرضيع المنحور بسهام اللؤم، والمخدرات المسبيات في لباس الشرف ونقاب العزة... نتلمس في ذلك أريج الملائكة الأربعة آلاف الحامين حول قبره عليه السلام.

ولأجل ذلك قلنا: إن قاتل الحسين عليه السلام لا طائفة له ولا مذهب ولا قبيلة ولا عشيرة... واحتفالات الحسين والعباس عليهما السلام والشهداء موجهة لتحية كل حر كريم شريف حيث كان وإلى أين انتهى...

نحن لانرى عاشوراء مجرد وقفة على طلل، ولا دموعاً في ريح الضياع، ولا طعاماً يستنزف ثروات الأمة... بل الوقوف والطعام وإلهاب الصدور وعبير الشعر ومسك الكلمات كلها مقدسات من أجل التذكار والعبر، لتبقى الأمة من خلال الشعار تنهض المشاعر والمواقف لئلا تعود إلينا مقولة: (قلوبنا معك وسيوفنا عليك).

عاشوراء وقفة القلة الطاهرة أمام الكثرة الجائرة... هي مدرسة الأجيال بأن الحقيقة لا تتقدس بالعديد، بل بمقدار ما تشرب من حوض النبوة والحقيقة والقيم.

عاشوراء وقفة الرافض للجور ولو كان المقابل سلطةً وسلطاناً غشوماً لايرى لعرشه الا الجماجم والدماء... وصدى كل هادر وبليغ ليس مثل الجراح حين تقول.

عاشوراء نستعيد فيها موقف الحب والطاعة والانقياد وتدريب الأمة على البلاء والصبر والتحمل، لئلا يتحول الحب كقلب أم موسى يفرغ من ينابيعه

الثرة، فيكون كصدأ الصفاح سهاماً تذبح فيها قادتنا وندمر بها مقدساتنا.

عاشوراء رفض لمنطق المقدسات المحنطة والمتجمدة على الشكل الفارغة من المضمون، لا تبرد نفسها، ولا تقش روحاً... ألم يكبر قتلة مدرسة النبوة على أرض، الطف قال الشاعر:

ويـــكـــبرون بـــأن قـتـلـت وإنـــما قـتـلـوا بـك الـتـكـبـير والتهليلا

نريد للقداسات أن تنمو في الجماعة وفي اللقاء والإخاء والعيش المشترك وحسن الجوار وفي الإمساك بالتنوع فداءً للأمة.

عاشوراء لم تكن يوماً ثورة داخل التشيع على جمهورٍ من القتلة كانوا يعيشون في دائرته... ولم تكن يوماً ثورة الشيعي على الاعناء ولاقي قيمة عليا لأنها شهادة وحسب... عاشوراء استعادة لرأس الهرم الإمامة والولاية والقيادة والعصمة والسداد وكمال لمنهج الصالحين **(ما جئت لانقض بل جئت لأكمل)** في استعادة لخلافة من معالمها ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، مقابل خلافة تريد القيام على شعار **(شارب للخمر معلن للفسق قاتل للنفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله)**.

هذه هي عاشوراء وهذه هي كربلاء وها هو ربيع الشهادة يزهر بساتين معرفه وثورة والتزام في كل صقع ويجدد لورود الشعارات المباركة حياة العبق لتحملها الأجيال أمانة ووصية وباباً رئيساً لإحياء أمر الدين.

ولذا نجد تركيز النبوة على الحسين عليه السلام... وكذلك حيث الأئمة من بعد على الزيارة والإطعام والسعي وترديد المفاهيم، حتى في مثل شرب الماء كل حين، كل ذلك يدلُّ أنها ثورة النبوات، وحركة الصالحين المباركين...

ومن هنا إلى كل الغيارى، لاسيما في العراق المنطلق والواصل ختام القصيدة

بالمطلع، وإلى أهلنا في لبنان بأنكم بتنوعكم مع هذا المد التاريخي للتعايش والجوار تملكون صوت الإصلاح لإيصالة الى كلِّ حرٍّ: إن ماجه الاختلاف لا يرقى بوجه مابه الاجتماع والائتلاف والكيان...

فلنقلها دون تأمل: نحن أخوة لله والرسول... واختراق الحرم حرام وحرام و حرام... وإن للنهج المذهبي المتكرر من قبل الطفيلين، حول الأوطان إلى هشيم، ولا حاجة معه إلا إلى صبي أرعن يحمل عود ثقاب...

تعالوا لنعلنها للملأ، على ضوء صحاحنا وتاريخنا أن أساس قيامنا واجتماعنا الإيمان بالله والرسول، وحب أهل البيت ﷺ وعدم التعرض الساخر للرموز دون أن تكون دعوة لإلغاء الآخر، فلدينا آلاف المساحات الباردة لمناقشتها بهدوء وأناة وبصيرة...

مع الإ شاره إلى أن الماضي مشحون بالآلام و الجراح... ، أليس في إحياء قبور التاريخ دفن جديد لحياة أمتنا...؟

ولنقلها بصراحة: إن في تراثنا الإسلامي العام ما لا يمكن قبوله في منطق أو عقل، وحسبي أن (ابن حنبل) استل ثلاثين ألف حديث من سبعمائة وخمسين ألف حديث... وأن (صحيح البخاري) أخذ من ستمائة ألف حديث... كما أن بعض كتبنا غير نقية من الأقانين والترهات...

ولذا أدعو في الختام إلى كتابة نص جامع يلتقي عليه الأطراف، لكتابة تاريخنا وتراثنا وتنظيم خلافنا على ضوء الحقائق الدافعة والمدركات العقلية والقطعية...

والسلام على الحسين وعلى أخ الحسين العباس وعلى علي بن الحسين وعلى سائر الشهداء على طريق الحسين عليه السلام ...

القراءة المعكوسة
الاستنباط التاريخي
الافتراضي

سماحة السيد محمد علي الحلو
ولد في مدينة النجف الأشرف وترعرع
في مدارسها وهو الآن استاذ في الحوزة
العلمية في النجف الأشرف، وله اكثر
من ٢٥ مؤلف مطبوع، وعشرات المقالات
التاريخية الأخرى والعديد من المشاركات
في المحافل الثقافية والعلمية

إن القراءة التقليدية للثورة الحسينية استوعبت الكثير من مساحاتها التاريخية، ووقفت على بعض أسبابها الحقيقية، وهي وإن لم تصل إلى مراحل الكمال والإتمام، إلا أنها ساهمت في بعض من المراحل التثقيفية لهذه الثورة المعطاء، إلا أننا اليوم مدعوون، أن نقرأ الثورة الحسينية بقراءة معكوسة، لتسجيلي الكثير من الوقفات التي قد تحملها القراءة التقليدية، فالثورة الحسينية الآن بين قراءتين متوفرتين على استكشاف الحقائق (القراءة التقليدية والقراءة المعاكسة)...

وها نحن نحاول أن نثير التجربة الأولى في القراءة المعكوسة للثورة الحسينية، ليتسنى لنا الوقوف على بعض خفاياها إن لم نقل أسرارها، فالسر الثوري الحسيني لم نستطع استيحاءه من المحتملات المتوفرة أو المثبوتة بين مطاوي الظنون والتكهنات، بل نحن قادرون على فك الترميز الثوري الذي، أحاط بثورة الحسين عليه السلام، بل استطعنا أن نقف على بعض ما وقفتنا عليه الروايات لتنحدر إلى أذهاننا البسيطة بعض تلك الملامح العاشورائية التي أثارتها الثورة الحسينية، وبهذا فنحن ملتزمون الآن أن نقف على بعض المحطات لنقرأ معاً القراءة المعكوسة التي تنحفر في ذاكرة الزمن العاشوراتي بعض المشاهد واللقطات التي تيمتنا في قراءة بعض الثورة الحسينية.

القراءة المعكوسة

وهي تجربة جديدة لقراءة الماضي لغرض الاحتمالات المستخلصة من المشاهد والمحطات التاريخية لتشكل علامات استفهام تندرج ضمن سياقات الواقعة التاريخية، وتتراكم هذه الاستفهامات للبحث عن إجاباتها المقترحة مرة والجاهزة أحياناً، ومن خلالها نتواصل مع الماضي بالبحث الاستفهامي أو الاستنكاري، لنغوص في أعماق الحادثة ونستخلص منها إجاباتها.

التجربة الانموذجية... ولا أدري كيف أبدا بالتجربة، إلا أن واقعة عاشوراء دفعتني إلى استخلاص مثل هذه القراءة التجربة، أو لمشاهده المعكوسة لأقف – وأوقفكم – على الكثير من القضايا التي لا تجد لها إجابات إلا من خلال تجربة القراءة المعكوسة.

المختبر التاريخي

إن المشكلة التاريخية تنحدر من أعماقنا، لتشكل حاجزاً أو عائقاً في الفهم التاريخي، ولعل السبب في هذا الابتلاء المعرفي هو غياب الحالة التحليلية أو التجربة المختبرية التي ضلت كتاباتنا.

فالعرض المختبري للقضية التاريخية سيوصلنا إلى نقاطٍ غابت أو كادت أن تغيب عنا بسبب القراءة التقليدية، وهي إملاءات سياسية، أو محاولات فرض المقدس الذي أرهق ذهنيتنا المعرفية ودعاها تتراوح بين التسليم غير المبرر وبين التقيم غير المنصف، وهكذا تراكمت دعاوى التقديس، حتى إنك تجد بدأً من الإثارة العلمية أو التساؤل الإستفهامي، ليضيف لرصيدنا المعرفي زخماً كبيراً من المعرفة وبقي هذا المقدس يلاحقنا حتى في التساؤل عن أسباب هذه الحادثة أو تلك، لئلا تنال هذه التساؤلات من رموز المقدس ما يضفي تعقيداً جديداً للقراءة التاريخية، وبات البحث التاريخي متهماً طائفياً أو إدارة محرضة على الفتنة أو مكسباً شخصياً أو هدفاً سياسياً إلى غير ذلك من الإتهامات الموجهة للبحث التاريخي، ومن العجيب بل الأعجب إرعاب الذهنية البحثية من التواصل البحثي، وإسدال الستار على مراحل تاريخية مهمة تنتظر منا التساؤل عن أسباب صياغتها بهذه الطريقة المجحفة التي أوصلتها إلى ما هي عليه من التشكيلة المجحفة والغامطة للحقوق والدافعة لحجج الله عن مقاما تهم، وما إلى ذلك من

الممارسات غير المنصفة بل وغير المبررة.

التجربة...

ومن أجل الوقوف على ما وراء الحدث، فإن الحراك الفكري الذي تحدثه الطريقة المختبرية في الاستقطاب المعرفي يجعلنا مدفوعين باتجاه إستحداث هذه الآلية المعرفية التحليلية، والتي تساهم في فك الترميز التحقيقي المشفر الذي اعتمدته بعض المدارس، والتي أرهقت الذهنية العامة والرغبة التحقيقية في معرفة الواقعة التاريخية، ولنا الآن. ..

المحاولة الأولى: ماذا لو بايع الإمام الحسين عليه السلام يزيداً؟

كان السبب المباشر لثورة الإمام الحسين عليه السلام هو امتناعه عن البيعة ليزيد، ورفضه الصريح لبيعة فاسق، شارب الخمور، لا يرى للدين حرمة، ولا للخروج على أحكام الله سبحانه وتعالى من غضاضة، ومثل الحسين عليه السلام لا يبايع مثل يزيد.

هذه بعض مضامين تصريحات الإمام الحسين عليه السلام حينما طلب منه الوليد البيعة ليزيد، وتطورت الأحداث بالانتقال إلى مرحلة المواجهة والحرب، مما اضطر الإمام الحسين عليه السلام للخروج من مكة قبل استكمال نسكه، والواقعة مُفَصَّلة في مطولات التاريخ...

ماذا لو بايع الإمام الحسين عليه السلام يزيد؟ كما أراد واختار العاقبة على القتال، وسلم للأمر الواقع، وعلمه أن يزيد يمتلك الدولة وإمكانياتها، والقوة وسطواتها، والإمام الحسين عليه السلام يقود معارضته المسلمة، وهو لا يملك من الأنصار الذين اقتنعوا بالتضحية من أجله إلا أنفاراً، والآخرون أذعنوا لدعوته وهو في طريقه إلى كربلاء، وبعضهم انحازوا إلى صفوف نصرته في ساعة القتال،

فما الذي دعا الإمام الحسين عليه السلام أن لا يبايع لئلا يعرض نفسه وأهل بيته للقتل والسبي والتنكيل؟ وهل الحسابات المادية التي تعيشها ثورة الإمام الحسين عليه السلام من عذر فيما لو أعطى الحسين بيعته ونزل على حكم الأمر الواقع وعاش بين العاقبة والرخاء؟ إذ لو بايع الإمام الحسين عليه السلام يزيد واعتذر لقلة الناصر، لكان أمراً مقبولاً فيه، ولسَلِم الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، والمسلمون يقدرونه بقلة الناصر، إننا لا بد أن نعرف البيعة التي نقصدها الآن، وماذا تعني في فقه اللغويين؟ فضلاً عن فقه الفقهاء.

البيعة (لغة)...

المعاقدة والمعاهدة كأن كلاً منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه ودخيلة أمره (مجمع البحرين)، ولم يجد الفقهاء عن ذلك حيث قررها بعضهم، وإن البيعة تعني الالتزام بالطاعة للولي، أو إنها واكد الالتزام بالطاعة إلى غيرها من التعريفات، وإن كنا نميل إلى أن بيعة الإمام علي عليه السلام هي التأكيد على الطاعة بعد فروغه من تعين الخليفة المنصوص عليه من قبل الله سبحانه وتعالى، لعدم الوقوف على المعنى الفقهي الاصطلاحي للبيعة، كونها غير محررة فقهياً، وذلك لعدم تبني مفهوم البيعة في النظرية الإمامية، وغلبة نظرية تنص عليها جعلها غير محل إبتلاء المحققين من الفقهاء الإمامين، وبهذا ستظهر نظرية البيعة واضحة للعالم في مدونات الفقه للمذاهب الإسلامية الأخرى، على أننا ننوه إلى أن نظرية البيعة للمذاهب الإسلامية تستبطن بيعتين، إحداها بيعة أهل الحل والعقد للإمام، والثانية البيعة العامة لبيعة أهل الحل والعقد.

وعلى هذا الاساس فهل أن بيعة الحسين عليه السلام ليزيد هي من بيعة أهل الحل والعقد أو من البيعة العامة؟

الظاهر إنها من البيعة العامة، وليست بيعة أهل الحل والعقد في نظرهم، لذا فالحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله هو من عامة الناس، لذا لا بد لهم من الطاعة، كما هو للسوقة من العامة وجمهور المسلمين الذي لا حل له ولا عقد.

فمبايعة الحسين عليه السلام ليزيد هي من قبيل البيعة العامة للخليفة، ولا أجد أحداً يرتضي للحسين عليه السلام وهو سبط النبي صلى الله عليه وآله وخامس أهل الكساء بإجماع المسلمين أن يكون من سوقة الناس، وعامتهم تلزمه بيعة فاجر.

ويذهب ابن خلدون في مقدمته في تعريف البيعة اصطلاحاً بأنها العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه من الأمر.

على هذا ستكون البيعة عهداً موثقاً بيمين على الطاعة والمتابعة، ولا بد للحسين عليه السلام سبط سول الله صلى الله عليه وآله أن يكون تابعاً ومطيعاً ليزيد في كل حالاته، مع انه عليه السلام صرح بأن يزيد ليس أهلاً لهذه البيعة، وكانت كلماته تفصح عن رؤية جديدة بالقراءة لتاريخ مرحلة عسيرة، ومقطع لأحداث يجيش بمستقبل سيء ينتظر الأمة ويقرعها بعصا العصيان لبيت النبوة ومعدن الرسالة، فقال عليه السلام مخاطباً الوليد: **(أيها الأمير إننا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة وبنا يختم، ويزيد شارب الخمور وقاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننتظر وتنتظرون أينا احق بالخلافة...)**.

ولم يزل هذا التصريح يصدع في ذاكرة الأمة ويلهب مشاعرها لتعرب عن إجماعها بفسق يزيد، فإن أعلام المسلمين لم يكملوا حقيقة الأمر حيث أعربوا عن استيائهم واستنكارهم لبيعته.

واستدل الآلوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ * أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ﴾[1]. قال الآلوسي: «واستدل بها أيضاً على جواز لعن يزيد (عليه من الله تعالى ما يستحق)».

نقل آخر في الإشاعة في الصواعق أن الإمام أحمد لما سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد فقال: «كيف لا يُلعن من لعنه الله تعالى في كتابه؟ فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله عز وجل فلن أجد فيه لعن يزيد، فقال الإمام: أن الله تعالى يقول ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ * أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ﴾». وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد؟

وفي مقدمة ابن خلدون رداً على القاضي ابن العربي عند قوله في كتابه (العواصم والقواصم): «إن الحسين قتل بسيف شرعه غفلة عن اشتراط الإمام العادل في الخلافة الإسلامية ومن أعدل من الحسين في زمانه وإمامته وعدالته في قتال أهل الاراء».

التفتازاني الحقان: «رضا يزيد بقتل الحسين وإهانته أهل بيت النبي ﷺ، مما تواتر معناه، فنحن لا نتوقف في شأنه لعنة الله عليه وعلى أنصاره واعوانه». ولا نريد أن نسترسل في كلمات من أوجب لعن يزيد...

ومن أغرب ما تقرأ من كلمات ابن العربي حيث يجعل بيعة يزيد تامة، وبعد أن تمت البيعة له وكملت شروط الخلافة بإجماع أهل الحل والعقد، ولا ندري الذي يقصده ابن العربي من أهل الحل والعقد، أهو عبد الرحمن بن أبي بكر الذي

---

(١) سورةُ مُحَمَّد، الآية (٢٢-٢٣).

كان يتجاهر بأن بيعة يزيد هرقلية «كلما مات هرقل قام هرقل مكانه»؟ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لعابس بن سعيد الذي حثه على البيعة ليزيد «أنا أعرف به منك وقد بعت دينك بدنياك».

ولنستمع إلى سعد بن زيد بن عمرو العدوي قوله للشامي حينما دعاه إلى مبايعة يزيد بطلب من مروان: «يأمرني مروان أن أبلغ لقوم ضربتهم بسيفي حتى أسلموا، والله لا يسلموا ولكن استسلموا».

ولسعيد بن عثمان بن عفان وفيما كتب إليه: «إن أبي خير من أب يزيد وأمي خير من أمه وأبي خير من أبيه»، فقال معاوية: «أما أمك فهي ابنة رسول الله ﷺ فهي خير من امرأة كلب وأما أبوك وأبوه فحكم لأبيه على أبيك هذا ومعاوية أدرى بمصير عثمان حينما أعلن المسلمون قرارهم في رفضه لسياسات التفرقة الأسرية التي أرهقت الأمة ومعانيها».

وبعد هذا التحليل، فإذا تصورنا مبايعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد وخروقاته:

أولاً: وهل يعقل أن يكون الحسين عليه السلام قد أقر عين يزيد ليقره على رقاب المسلمين؟

ثانياً: إن الحسين عليه السلام في طور تأسيس رؤية الحكم، وفلسفة الحكومة الإلهية، فكيف يرتضي ليزيد أن يمثل الحاكم؟ ليتحمل مسؤولية تطبيق المشروع الإسلامي وأدلة الحكومة المقدسة.

ثالثاً: إن بيعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد خرق لا تشمله الهدنة التي نصت على أن يكون بعد معاوية الحسن أو الحسين عليهما السلام، والانصياع لهذه البيعه هو خرق

للعهود والمواثيق التي التزم بها الإمام الحسين عليه السلام ومن قبله الإمام الحسن عليه السلام في احترام هذه الوثيقة بكل تفاصيلها.

رابعاً: الإمام الحسين عليه السلام يمثل امتداد النبوة، والقيِّم على الرسالة، ويزيد لا يعني في مفهوم الأمة ونظرتها لها إلا طليقاً من أبناء الطلقاء، فكيف يتسلط طليق على أوائل الصحابة وخيار التابعين... الى آخره من الخروقات التي لا تتناسب مع دعوة الاصلاح التي يتبناها الإمام الحسين عليه السلام في خطاباته وتوجيهاتها.

الخلاصة:

إن البيعة في المفهوم العام، وهو المفهوم العربي المرتكز تعني العهد تكون بصفقة البيعة التي هي كصفقة البيع والشراء، ولا بد أن يكون المبايع عند عهده بغض النظر عن مشروعيتها، والإمام الحسين عليه السلام على أساس السياقات الارتكازية لدى العامة لا يمكنه أن يبايع ثم لايلتزم بهذه البيعة، مع العلم أن البيعة في المفهوم الفقهي لا تمثل هذه الإلتزامات الإرتكازية وعدم الخروج على المبايَع عند عهده والإمتثال اليه ومحض الطاعة له... إلى آخره. والحسين عليه السلام ملزم على أساس المفهوم العام، وبهذه البيعة ليزيد من الطاعة والإمتثال.

المحاولة الثانية:

فرضية: لو اختار الإمام الحسين عليه السلام غير الكوفة..

لابد لنا أن نستذكر اقتراح عبد الله بن عباس على الإمام الحسين عليه السلام بالذهاب إلى اليمن ليكون بعيداً عن الكوفة. وقد وصف عبدالله بن عباس الكوفة بالغدر ونكوث العهود ونصحه (الى اليمن فإن فيها عزله ولنا فيها أنصار وأعوان وبها قلاع وشعاب...)، إلى غير ذلك من الآراء والاقتراحات

التي لاتتعدى عن قراءة الواقع بالرؤية المادية، وحساب الخسارة والربح المادي الذي يدفع التفكير باتجاة آراء ابن عباس وأم سلمة وغيرهم من الهاشمين من مصير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة.

إن الإمام الحسين عليه السلام كان يوعدهم بخير ويقول: **(أنظر في الأمر)**، ولايعدو ذلك الا احترام الآراء المشفقة عليه والمتوجة من عاقبة خروجه. في حين كان الإمام الحسين عليه السلام ينظر إلى الأمر بنظر غيبي يمكنه تجاوز هذه الآراء، ودواعي هذه المحاولات، ومع هذا لابد لنا تحليل حركة الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة وإصراره على مواصلة السير دون أن يلتفت إلى أقوال المعترضين وتوجس الناصحين. والظاهر أن الإمام الحسين عليه السلام في توجهه إلى الكوفة، أخذ بعين الإعتبار عدة أمور منها:

أولاً: مبايعة الكوفيين له وتواتر الكتب عليه، وكان أهل الكوفة كتبوا اليه: (إنا معك مائة الف...) ،وكان بعض جواب الإمام عليه السلام: **(فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك)**، فقد حدد عليه السلام مواصفات الإمام ثلاث: أن يحكم بكتاب الله، وأن يقوم بالقسط وأن يحبس نفسه على ذات، وان يعصم نفسه عن محارمه نواهيه، وكل ذلك يفتقده المتصدون لقياده الأمة، والإمام الحسين عليه السلام هو من تتوفر لديه هذه الخصائص ولابد له أن يتصدى لأمر الأمة وإظهار كلمة الله سبحانه وتعالى، بعد أن آلت إلى الاندثار والأفول، وحسب الإمام الحسين عليه السلام أن يبايعه جموع الكوفيين الذين علم منهم الطاعة والإصرار على الشهادة، لولا الظروف التي أحاطت بالكوفيين فأرهقتهم عن المشاركة القبلية وتحقيق النصر للإمام عليه السلام.

ثانياً: لو افترضنا أن الحسين عليه السلام توجه إلى اليمن وتحصن بجبالها وتستر بشعابها،

لكانت له منجاة من ملاحقة الأمويين لكنه عليه السلام سيكون كأحد القادة الهاربين من نظام الحكم، والمتمردين على النظام ولا يبقى للحسين عليه السلام فضل الجهاد ومقارعة الطغاة.

ثالثاً: لو استطاع الحسين عليه السلام أن يصل إلى الكوفة ويقيم دولة، لكانت جهوده تنحصر في تأسيس دولة كبقية البلدان من الدول العربية، ولا تكون إلا بمثابة ولاية متمردة يقرأها التاريخ دون أن يكون لها بريق المظلومية التي أحدثت الانتصار. فالحسين عليه السلام حين يُقرأ مظلوماً غير ما يُقرأ حاكماً، وبذلك فلا يمكن للحسين عليه السلام أن تتوهج ثورته بصدى المظلومية التي هزت ضمير العالمين والوجدان الإنساني.

وبهذا فتأسيس الدولة لم يكن طموح الإمام الحسين عليه السلام، بقدر ما تكون مظلومية متكفلة لتأسيس المبادئ وإرجاع الإسلام إلى مكانه، بعد أن تلاقفته نزوات الحاكم بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله حتى عصر الإمام عليه السلام الذي تسلط فيه يزيد، وهو آخر ما يفكر به الإنسان أن يتسلم مهام المسلمين مثل يزيد. حيث أعلن عليه السلام في مجلس الوالي الأموي الوليد بن عتبة بقوله: **(أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلن للفسق، ومثلي لا يبايع مثله)**. وقال عليه السلام في أمور أخر: **(إنا لله وإنا اليه راجعون وعلى الإسلام السلام أن قد بليت الأمة براع مثل يزيد وقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان)**.

رابعاً: لو اختار الإمام الحسين عليه السلام بلداً غير الكوفة لما تعدت ثورة مجرياتها إلى الحد الذي تعيشه هذه الثورة من شهرة وسمعة فاقت توقعات الجميع، وذلك لما للكوفة من خصائص ساعدت على انتشار الثورة نذكر منها:

١. تعد الكوفة بلدة علوية بجميع المقاييس، بالرغم من كل التهويلات التي أثيرت ضدها وكونها كانت معروفة بالغدر ونقص العهود، فإن ذلك لا يعدو أن الكوفة كانت تعيش تيارات التناقضات العقائدية من خوارج إلى مرجئة إلى مجبرة إلى أموية، فضلاً عن التيار العقائدي الشيعي الذي كان يحكم هذه البلدان. وكذلك فهي تعيش في خضم أقليات فارسية ورومية وتركية، فضلاً عن النزعة العربية التي استبدت في التشكيلة الكوفية، وهذا سوف يشكل خليطاً ثقافياً غير متجانس الثقافات والتوجهات، وبفعل ذلك ستكون الكوفة مسرحاً إعلامياً تنطلق منها ملاحم خيرية تقدمها على أساس رواية أو قصة أو قصيدة أو خطبة... إلى غير ذلك من دواع إعلامية مختلفة، وسيشهد هذا التنوع الثقافي تشكيلات إعلامية تتراوح بين تشكيل حكومي سلطوي مبرمج، وبين تشكيلات إعلامية عقائدية ثورية، وكل هذه التشكيلات تراهن على نقل الخبر أو الأحدوثة إلى أكثر القطاعات الشيعية وفي مختلف البلدان... وبذلك فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ستستفيد من التنوعات الثقافية التي سوف تهتم بنقل الخبر وتساعد في إعلام الثورة، وتنشر مجريات المظلومية بصورها الواقعية.

٢. لما كانت الكوفة بهذه التنوعات العقائدية والتوجيهات القومية فإن ذلك يؤهلها إلى أن تعيش هواجس الثورة المضادة، أي تصاعد الحالة الثورية بعد واقعة كربلاء، وستكون عاشوراء محفزاً حقيقياً لدواعي الثورة لدى جميع القطاعات، وبذلك فقد أسس الإمام الحسين عليه السلام بنى الثورة والتمرد على الحاكم ولو بعد حين.

٣. كون الكوفة علوية، فإنها مصدر الإمداد والتعبئه للثورة، فالأصحاب

المدخرين لنصرة الإمام الحسين عليه السلام قد أخذوا مواقع الترتيب والتحفز لاستقبال الإمام الحسين عليه السلام، والالتحاق به، فضلاً عن حركة مسلم بن عقيل عليه السلام التي سبقت هذه الثورة، والتي أفرزت العديد من التحولات الثورية للمشاركة في نصرة الإمام عليه السلام، وبهذا ستكون الكوفة مرشحة لنجاح الثورة كما رآها الإمام الحسين عليه السلام.

المحاولة الثانية: فرضية لو أبقى الإمام الحسين عليه السلام عيالاته في المدينة

وهي إحدى الفرضيات الجدلية التي شغلت الكثير، فيتسائلون عن أسباب جلب الإمام الحسين عليه السلام لعيالاته معه إلى الكوفة، مع علمه بالغيب انه سوف يُقتل. فكيف قدم الإمام عليه السلام خيار جلب النساء معه؟ مع توفر الخيارات الأخرى، وهو إبقاء النساء في المدينة، أو في مكة، مع وجود الهاشميين المتخلفين عن السفر معه، وسيكون الهاشميون حريصين على سلامتهم دون التعرض لهن، أو مواجهة آلام السبي كمصير محتوم بعد القتل... وهنا لابد أن نأخذ بالإحتمالات الآتية عند خيار إبقاء النساء في المدينة أو في مكة، وستطرح أمامنا ثلاثة احتمالات:

أولاً: هذا الاحتمال يدفع بنا إلى الأخذ بالإعتبار ظروف المواجهة التي أحدثتها اتجاهات يزيد الفكرية والمفروضة على الناس، حيث استنفار كل القوى الأموية لتمرير محاوت البيعة القهرية، وإحباط محاولات التحدي والرفض الذي مارسته المعارضة الشرعية المتمثلة بالإمام الحسين عليه السلام وجموع المسلمين الرافضين.

لذا فإن حالة التوجس من قبل النظام تفرض عليه إجراءات أمنية مشددة تحسباً لأي طارئ تحدثه المعارضة. إن النظام يلجأ إلى أساليب إبتزازية شتى لإخضاع المعارضة إلى إرادته، ومن تلك الأساليب - ولعله أشدها - إقدام

السلطه على احتجاز النساء فيما إذا تعرضت مصالح النظام للخطر، والإمام الحسين عليه السلام قائد للثورة سيكون أول المعترضين لابتزازات النظام في احتجاز عياله، واخضاع إرادته لرغبات النظام وهو الكف عن الثورة، وستكون الثورة قد أُحبطت في بدايات إندلاعها، لذلك فإن ضرورة جلب العيال معه تحسباً لتعرضهم لأي أذىً دفع بالإمام عليه السلام إلى عدم ترك عيالاته في بلد يضعف فيه المدافع عن العيال، ويثني الحسين عليه السلام عن مواصلة مشروعه.

ثانياً: مشروع الثورة بحاجة إلى جهد إعلامي يتناسب وضخامة التضحيات المقدمة، كما الجهد الإعلامي الأموي المضاد، وبحاجة إلى مشروع ردعي ساعد بقدر الجهد المبذول من قبل النظام. ولابد لهذا المشروع الإعلامي الذي سيأخذ على عاتقه ردع محاولات النظام أن تكون له آليات إعلامية تنفذ المشروع، وما بعد الثورة فإن النظام يضطر إلى تغيير الحقائق وقلبها إنقاذاً لموقفه المتهرئ، وسيبذل جهداً إعلامياً من أجل التشويش على هوية الثورة وتوجيهاتها، ولا بد لهذه المحاولات من ردع توقف النظام، ووصفت الحسين السبط عليه السلام بالخارجي الذي خرج على الخليفة الشرعي يزيد، وبهذا فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام حفلت بجهود إعلامية أموية مضادة، وبجهود معاكسة أخرى كانت الحقيقة السبب الأهم في إبراز هذا الأمر بطريقتها المعروفة.

ثالثاً: لو افترضنا أن النساء لم تصاحب الإمام الحسين عليه السلام في مسيره، فنحن بين امرين: أحدهما: إبقاء الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة أو مكة. ثانيهما: مرافقة الإمام زين العابدين عليه السلام لوالده الحسين عليه السلام. ولابد لهذين الأمرين من نتائج:

أما على الأمر الأول وهو إبقاء الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة أو في مكة، فإن ذلك يعني أن الأمويين سيسعون إلى القضاء على الإمام زين العابدين

عليه السلام بعد أول فرصة تسنح لهم عند إعلانهم لمقتل الإمام الحسين عليه السلام، وهم يتجهون لتصفية أهل البيت عليهم السلام عن آخرهم، والإمام زين العابدين عليه السلام هو المرشح المطروح لمشروع التصفية الأموية، ذلك كون الإمام زين العابدين عليه السلام عرفته الأوساط العامة - والهاشميين خصوصاً - بأنه خليفة أبيه عليه السلام، وهو المبرز من بين الهاشميين ولاية للوالي الأموي في المدينة أو في مكة أن يعمل على تصفية أقوى خصويه وهو علي بن الحسين عليهما السلام الذي تتجه نفوس الناس اليه لتحقيق طموحات الهاشميين لخلافه أبيه، فضلاً عن إمامته بعد أبيه عليه السلام لدى أوساط الخواص، ولعل ذلك قد اقتنعت به أوساط السلطة، إلا أنها تكتم ذلك لئلا يشيع خبره بين الناس، وهي عازمة على تصفية حساباتها معه بعد الانتاء من الثورة، ولا تستبعد أن يقدم الوالي الأموي - وهو سعيد بن العاص المعروف ببطشه -، على تصفية الإمام زين العابدين عليه السلام فوراً، كرد فعل احترازي أو محاولة انتقامية، وبذلك فلا يستطيع لا المدنيون ولا المكيون أن يدفعوا عن الإمام زين العابدين عليه السلام أهوال ما تصل إليهم من تهويلات البطش بالمعارضة وعلى رأسها سبط النبي صلى الله عليه وآله، فكيف بعامة الناس خصوصاً الهاشمي ين، والوضع محتقن بإفرازات المعركة ونتائجها المروعة.

أما الإحتمال الثاني وهو مرافقة الإمام زين العابدين عليه السلام والده الإمام الحسين عليه السلام، من دون مرافقه النساء، فإن ذلك سيجعل تصفية الإمام زين العابدين عليه السلام أمراً وارداً، بل محققاً على كل حال. فإن مشروع (لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية) على أوجه في تحقيقه، وهنا لا بد من افتراضين، لا بد من تحقيق احدهما:

الأول: وهو مشاركة الإمام زين العابدين عليه السلام في القتال، لابد منه أن يكون من جملة الشهداء وبذلك ستنقطع الإمامة وسلسلتها الالهية.

والثاني: وهو أن الإمام زين العابدين عليه السلام إذا لم يشارك في القتال، فانه عليه السلام ينتظر لا محاله تصفيته بعد الانتهاء من مصرع والده الشهيد عليه السلام.

وعلى كل الإحتمالات فلابد من التفريط بوجود الإمام المقدس الذي يسعى الإمام السابق أن يحافظ على البقاء على الإمام اللاحق كمهمة إلهية تعد إحدى مهماته المقدسة، وبذلك سيكون وجود النساء سبباً في امتناع الأمويين من تصفية الإمام زين العابدين عليه السلام، لما لظروف النساء في المعركة من أثر يساهم في تجييش العواطف وإثارة الشفقة حتى لدى الأعداء، لتشفع هذه الحالة في حماية الإمام زين العابدين عليه السلام من تصفيته. فكان وجود النسوة من أهم ضرورات حركة الإمام الحسين عليه السلام التي من أهم مهماتها هو الحفاظ على التسلسل الإلهي للإمامة المتمثل بالا مام زين العابدين عليه السلام.

المحاولة الرابعة: فرضية الابقاء على الأطفال خصوصاً عبدالله الرضيع وعدم تعرضه للتصفية والقتل بهذه الطريقة الوحشية...

ولابد أن نقرأ الأمر بطريقة أخرى، وهو ماذا لو لم يُقتل الرضيع بهذه الطريقة؟

أولاً: إن مقتل عبد الله الرضيع بطريقه أموية خاصة، قدم للعالم وحشية هذا النظام وعدم اعترافه بأي حقوق، كما أن رعاية الطفولة وقدسيتها غير متوفرة في مفاهيم السلطة ورجالها.

ثانياً: إن السلطة الأموية حريصة على البقاء في السلطة حتى لو كلف ذلك التضحية بالمقدسات التي لا بد أن تحترم، وأن لاتزعج في المساومات التي تسببها الصراعات، إلا أن الامويين ارتكبوا مالم يرتكبه أحد من المتمردين في الوحشية

بأصنافها. وهكذا كشف الإمام الحسين عليه السلام عن إمكانية الأمويين في التضحية بكل المقدسات، فيما لو تزاحمت مع إبقائهم في السلطة، وهذا يعني أن النظام يفرط بكل القيم - حتى بالإسلام - الذي يرفع شعار الدفاع عن مقدساته وقيمه.

ثالثاً: إن استشهاد عبد الله الرضيع بهذه الطريقة الوحشية، أعطى لحركة الإمام الحسين عليه السلام بعد المظلومية، وهذا البعد اتصفت به ثورته التي تمكنت من اختراق الأعماق الانسانية، واستطاعت أن توصل رسالتها المضمخة بدماء الأبرياء الذين لم ترحمهم تصفيات الامويين لأهل بيت الرسالة عليهم السلام.

هذه هي القضية التي تلقتها الأمة من واقعة الطف التي راح ضحيتها عبد الله الرضيع الذي لا ذنب له سوى الانتساب إلى سبط الرسول صلى الله عليه وآله .

أصحاب الحسين عليه السلام

سماحة الشيخ ضياء الدين زين العابدين
هو نجل آية الله العظمى الشيخ محمد أمين
زين الدين قدس سره
ولد في مدينة النجف الأشرف وتتلمذ على
يد أساتذتها من علماء الحوزة الأفاضل له
العديد من البحوث والمؤلفات كما شارك
في العديد من المؤتمرات الدولية الداخلية
والخارجية تشرف باستلام منصب
الأمين العام للعتبة العلوية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمد وآله المنتجبين. السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، وأناخت برحلك، عليك مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم، السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.

لفت نظري وأنا أقرأ المحاور التي أعدّها الإخوة القائمون على هذا المهرجان المبارك (محور استخلاص النخبة المتمثلة بأصحاب الحسين عليه السلام وأثرها البالغ في تركيز أهداف الطف العظيمة). ولعلي لا أجانب الحقيقة حين أقول:

إن مثل هذا العنوان لم يُدرس دراسة موضوعية جادة، تقف بالمتتبع عند رؤية واضحة وقويمة في فهم الحقيقة التي أشرت إليها من خلال بعدها الإسلامي الخاص، بالرغم من كثرة الدراسات التي تناولت حياة هؤلاء الصفوة، ومزاياهم الكمالية، وبينت مواقفهم وشدة علقتهم بالإمام الحسين عليه السلام وتتبعت تضحياتهم في سبيل الله سبحانه وتعالى ما أذهل التاريخ، فكل تلك الجوانب بالرغم من أهميتها، تعتبر موضوعات أخرى غير الحقيقة التي نقصدها هنا، كما أنها لا تفسر العناية الخاصة التي أولتها العصمة لهم في الكثير من مواقفها وكلماتها.

فمن يتبع كلمات المعصومين عليهم السلام في هؤلاء الأصفياء، يجد أنهم قد أعطوهم درجات ومزايا خاصة لم ترق إليها مجموعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله ولا أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولا أصحاب غيره من أئمة الهدى عليهم السلام. فالحسين عليه السلام نفسه يخاطبهم بقوله: **(فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من**

أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل ولا أفضل من أهل بيتي).

أما الإمام الصادق عليه السلام فيخاطبهم، بل ويسن لزائريهم من أمة الإيمان (حتى القيامة)، كيفية مخاطبتهم بقوله عليه السلام في زيارته إياهم، بعد زيارة الإمام الحسين عليه السلام: (اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَوْلِياءَ اللهِ وَاَحِبّاءَهُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَصْفِياءَ اللهِ وَاَوِدّاءَهُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ دينِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ رَسُولِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ أَبي مُحَمَّد الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَلِيِّ النّاصِحِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ اَبي عَبْدِاللهِ، بِاَبي اَنْتُمْ وَاُمّي طِبْتُمْ وَطابَتِ الاَرْضُ الَّتي فيها دُفِنْتُمْ، وَفُزْتُمْ فَوْزاً عَظيماً، فَيا لَيْتَني كُنْتُ مَعَكُمْ فَاَفُوزَ مَعَكُمْ)، إلى كلمات أخرى تؤكد هذه العناية من المعصومين عليهم السلام بهؤلاء الأزكياء، وتبين الكثير من مواقعهم الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى.

قال رسول صلى الله عليه وآله في حقهم حين أُخبر بشهادة أهل بيته: (وأما الحسين عليه السلام تنصره عصابة من المسلمين أولئك من سادة شهداء أمتي يوم القيامة). وفي خبر آخر: (في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن ابني أخوه الحسين المظلوم بعد أخيه، المقتول في أرض كرب وبلاء، ألا وإن أصحابه من سادات الشهداء يوم القيامة).

وفي خبر ورود الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء قال: (ها هنا والله مناخ ركاب، ومصارع شهداء، لا يسبقهم بالفضل من كان قبلهم، ولا يلحقهم من كان بعدهم).

وهي – كما نراها – كلمات لم يقلها أحد من المعصومين ﷺ لجمع آخر من خلص أصحابهم ومحبيهم، بالرغم من ورود الكثير في حق أولئك الأصحاب كأفراد فاق بعضهم الكثير من أصحاب الحسين عليه السلام اختصاصاً بأهل البيت ﷺ، وانقياداً لأمرهم ومعرفة بحقهم، وكان بعض هؤلاء ممن قام على كاهلهم كيان دين الحق في البشرية، وتبلور من خلالهم نهجه بين الناس مثل (سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار بن ياسر (رضي الله عنهم)) – هذا من جهة –.

من جهة ثانية، نحن نعلم أن من بداءة العصمة لدى أصفياء الله ﷻ، ومن أوليات نهجهم العتيد أنهم لا يطلقون كلمة في أمر من الأمور، ولا يضفون على أحد صفة من الصفات، ولا يسمون شيئاً بسمة من السمات، إلا من خلال مواقعهم التي انتجبتهم العناية الربانية لها في طريق الحق، وإلا من خلال دورهم الذي شاءته رعاية الله ﷻ لهم في حجته وفي إقامتها على الناس، وهذه النقطة تعتبر من الفروق الأساسية بين ما يصدر من المعصوم، وبين ما يصدر من غيره، لأن الكلمة التي تصدر من غير المعصوم لا يمكنها أن تبلغ درجة الارتباط المطلق بالحق وحجته التامة، لكونها محدودة بحدود قائلها، وبما يملكه من عوامل القصور الذاتي وإن الجهد في التجرد للحق وللموضوعية التي يعنيها يكون قدر إمكانه.

إذن فورود مثل تلك الكلمات من المعصومين ﷺ في حق أصحاب الحسين عليه السلام، يعني أن لهذه المجموعة الزكية من الناس مزايا خاصة وراء اخلاص كل منهم إلى الله ﷻ، وتفانيه في الذود عن حياض الحق وعن قويم نهجه وفنائه في حب أصفيائه إلى مستوى انعدام الذات في كل منهم، فبهذه الخصوصية استحقوا أمثال هذا الخطاب.

لأن هذه العوامل وإن بدت من أصحاب الحسين عليه السلام بدرجات رفيعة، لم يرق إليها إلا الخاصة من خلص المؤمنين الأتقياء، إلا أن أياً منها لم يكن من مختصاتهم كأفراد دون من سواهم من الأبدال الذين عاشوا في كنف العصمة وقصروا وجودهم وحياتهم لرسالتها، وحملوا عبء مسؤولياتها في مسار الحياة الإنسانية، حتى أصبح الكثير أنواراً باهرة لكلماتها العليا في التأريخ البشري، وجذوات أبدية لمثله الخالدة بين الناس إلى يوم الدين.

فهم الحقيقة التي تعنيها هذه العناية الخاصة التي صدرت من المعصومين عليهم السلام بهؤلاء الأزكياء، يحتم على المتتبع أن يتخذ طرائق أخرى غير ما عهد في الدراسات المتبعة للشخصيات التاريخية، لأن مجرد التعرف على مدى تجسيدهم للإخلاص إلى الله سبحانه وتعالى وتمحضهم للإمام الحسين عليه السلام وفنائهم في حبه والتفاني في طاعته كل ذلك - وكما قلت - ليس مما اختصوا به دون غيرهم من خلص أصحاب المعصومين عليهم السلام، ومن هنا فهو لا يصلح لأن يجيب عن السؤال الذي تطرحه البصائر حول الأسباب التي استحقوا بها هي العناية الخاصة من المعصومين عليهم السلام.

ومع أن هناك طرائق كثيرة يمكن إتخاذها لفهم هذه الأسباب إلا أن من أوضحها وأقربها للتوجيهات الإيمانية العامة هي دراسة شخصيات هؤلاء الأفذاذ من خلال:

أولاً: الأهداف التي عنتها الحكمة الإلهية، حين رسمت للحسين عليه السلام معالم كربلائه الخالدة، وموقع هذه الواقعة العظمى في رسالة محمد صلى الله عليه وآله، ودورها في مسارات هذه الرسالة العظمى في الوجود البشري، وفي الطبيعة الأبدية لحجتها القاطعة، وإقامتها على الناس، وديمومة إعجازها وظهورها بين الحجج.

ثانياً: دراسة دور هؤلاء الأزكياء في بلورة تلك الأهداف العليا، وأثرهم في استكمال الغايات التي رسمت من أجلها، ولعل هذا ما أشار إليه الإخوة القائمون على هذا المهرجان في المحور الذي نقف عنده، فها هنا نقطتان متكاملتان:

النقطة الاولى: الأهداف التي كان الإمام الحسين عليه السلام يرومها لكربلائه الخالدة

ومع أننا لسنا الآن بصدد الوقوف التفصيلي عند هذه الأهداف، حيث إن لها دراساتها الخاصة التي لا يمكن اختزالها ضمن بحث سريع كالذي نحن فيه، إلا أننا ومن أجل أن تتضح لنا معالم الطريق التي يمكننا أن نستكشف من خلالها دور أولئك الأزكياء في واقعة الطف، وتستبين لنا ملامح الصورة التي نعنيها في هذا الحديث حولهم، نسير إلى ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الإمام الحسين عليه السلام بمقولته الخالدة والمتواترة بين المسلمين عامة: **(حسين مني وأنا من حسين)**.

فالرسول صلى الله عليه وآله بكلمته هذه أراد للبصائر الإنسانية، وإلى يوم القيامة أن تدرك أن رسالته العظمى وحجتها في البشرية لا يمكن أن تتم معالمها أو تكتسب خلودها الأبدي بدون سبطه الإمام الحسين عليه السلام، وبدون ما يقدمه في إمامته من أنوار الهدى، وما يتخذه لإيضاح مساراته من مواقف لتكون كربلاء العظمى هي القمة مما أكمل به تلك الرسالة من مواقفه، وما أتم به نعمة الله سبحانه وتعالى على الناس، وأقام به حجة رسالة محمد صلى الله عليه وآله على الناس كافة، فهو الامتداد الثاني لعلي عليه السلام بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وولايته هي الحلقة الثالثة في سلوك الولاية التي أعلنها الرسول صلى الله عليه وآله يوم غدير خم بأمر الله وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[1].

إذن ليست إمامة علي عليه السلام - وكما نعلمه من اوليات الإمامة الإسلامية - إلا الحلقة الأولى من سلسلتها التي لن تستكمل دورها إلا باستيفاء عددها الخاص (الاثني عشر)، ليكون جميع الأئمة المنتجبين لها امتداداً لمحمد صلى الله عليه وآله، ولتكون إمامتهم إكمالاً لرسالته، وإتماما لنعمة الله سبحانه وتعالى بها على العباد، وكما أكده أئمة الهدى عليهم السلام أنفسهم في قولهم المشهور: **(أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلنا محمد).**

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حين جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تحت ثوبه، وقال - في حديث الكساء المعروف بين المسلمين -: **(أللهم قد جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أللهم إن هؤلاء مني وأنا منهم فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليَّ وعليهم).**

أما امتداد كربلاء خاصة لرسالة محمد صلى الله عليه وآله فهو مما أكده الإمام الحسين عليه السلام نفسه، ومنذ أوائل مواقفه الخالدة فيها، وكما هو المأثور عنه في وصيته عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية: **(إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي صلى الله عليه وآله وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام)**، ليجعل كربلاء كلها وما حوته من مواقف وأحداث بعداً من أبعاد رسالة جده صلى الله عليه وآله، وولاية أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، ورصيداً من أرصدة الإعجاز والخلود الأبديين لحجة الله سبحانه وتعالى فيها.

ويختم الإمام زين العابدين عليه السلام هذا التأكيد في جواب من سأله حول

(١) سورةُ المَائدة، الآية (٣).

كربلاء أبيه عليه السلام: من الذي غلب؟ فقال له الإمام عليه السلام: (إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف من الغالب).

وبعد؛ فإن الكثير من الباحثين الإسلاميين قد أغنوا هذا الجانب من نهضة الحسين عليه السلام بالكثير مما يوضح حقيقة وأبعاد رابطتها بكيان رسالة محمد صلى الله عليه وآله وامتدادها بها، فلا نطيل.

النقطة الثانية: الموقع الذي شاءته العناية الربانية لأولئك الأصفياء في كربلاء الحسين عليه السلام

في الحقيقة إن معرفة هذا الموقع ودلائله الإسلامية مما يحتاج إلى وقفات خاصة وطويلة من الباحثين، إذ هو لم يدرس دراسة إسلامية موضعية، ولم يتدبر بشكل يغني الأذهان المتطلعة لمعرفة الحقيقة فيه، بالرغم مما أعطي لهؤلاء الأزكياء من اهتمام في البحث حول نهضة الحسين عليه السلام. فمن أوليات هذا الموقع أنه يختلف تمام الإختلاف عن أي موقع آخر أعطي لأي من المجاهدين في سبيل الله تعالى من غير المعصومين عليهم السلام وعلى امتداد التاريخ، بمن فيهم المنضوون تحت ألوية المعصومين عليهم السلام في وقائعهم الأخرى.

فمع أن الكثير ممن كان مع المعصومين عليهم السلام من مخلصي المجاهدين - وكما قلت - لم يقلوا عن أصحاب الحسين عليه السلام إخلاصاً لله تعالى وتضحية في سبيله، بل ومعرفة بحق المعصوم الذي ينضوون تحت لوائه، إلا أن دورهم لم يرق إلى أكثر من الدرجة الفردية في البذل والعطاء والتضحية في سبيل الله تعالى، وفي سبيل الكلمة التي يرفعها المعصوم عليه السلام الذي يقودهم في تلك الواقعة، ورفع رايتها في الموقف الذي يقفونه.

نعم... رقي بعض المقربين من المعصومين عليهم السلام كأفراد إلى درجات عليا من التعبير عن الحجة الإلهية في بعض المواقف، وبلورتها في شخصيته كصورة قائمة للمسلم المؤمن الحق، ولكن أن يكون الإرتفاع جماعياً وإلى درجة أن تصبح الكلمات والمواقف التي تصدر من جماعة الناس مظهراً من المظاهر الأبدية لحجة الله تعالى على العباد، والى يوم القيامة، فهذا مما لم يتحقق لغير هؤلاء الأزكياء من أصحاب الحسين عليه السلام، إذ لم يذكر التاريخ ذلك لجماعة أخرى سواهم، وإن كانوا من خاصة أصحاب المعصومين عليهم السلام وخلصائهم المقربين لهم، بالرغم مما أشاد به الأئمة عليهم السلام لكثير منهم من الفضل والدرجات الرفيعة كأفراد.

والسبب في هذا الارتفاع يعود إلى الخصوصية التي جعلت لكربلاء الحسين عليه السلام من بين وقائع الإسلام، فالعناية الإلهية قد رسمت لكربلاء أن تتم الحجة الإلهية على الناس من خلال ثلاثة أبعاد وليس من خلال بعد واحد أو بعدين كما هو الشأن في الوقائع الإسلامية الأخرى.

فالمواقف والوقائع الإسلامية السابقة على كربلاء اقتصر دور إقامة الحجة فيها على المعصوم الذي يقودها وحده، وقد يُعطى فيها دور مميز لأفراد تجلت فيهم كلمة الله تعالى ليضربوا مثلاً أعلى للبشرية على تجسيد هذه الكلمة في هذا المورد أو ذاك، أما كربلاء الحسين عليه السلام فقد اقتضت العناية الربانية أن تخصها في أن تجمع بإقامتها لحجة الله تعالى على الناس بين ثلاثة أمور متكاملة:

أولاً: مواقف وكلمات المعصوم عليه السلام كأساس أو رصيد يستكمل به الإصطفاء الإلهي غايات الحكمة العليا فيها.

ثانياً: مواقف وكلمات أفراد كنخبة خاصة من البشر تجلت في كل منهم

أنوار الحجة الإلهية ودلائل نهجها في عالم الإنسان، لتبرز من هذا التجلي ما يثبت التاريخ وعلى مر الزمان عظمة محمد ﷺ ورسالته، وعلي عليه السلام وولايته، وإعجاز نهج أهل البيت عليهم السلام في الوصول بالإنسان إلى حيث يطمح إليه من درجات الكمال بشكل لم يسبق له نظير لا في تأريخ محمد ﷺ خاصة، وإنما على مدى تاريخ رسالات الله تعالى كافة.

ثالثاً: أن تجمع أولئك الأفراد النخبة في صعيد واحد ليشكلوا جمعاً متسقاً في تجسيدهم الأعلى لكلمة الله تعالى في الوجود الإنساني. وهنا تستبين الخصوصية التي تميز بها أصحاب الحسين عليه السلام عن غيرهم من الناس بمن فيهم خلص أصحاب الأئمة عليهم السلام.

بل وتستبين الخصوصية التي تميزت بها كربلاء الحسين عليه السلام عن غيرها من وقائع المعصومين عليهم السلام بما فيها وقائع جده العظيم رسول الله ﷺ، لأنها الواقعة الوحيدة التي تجمعت لحجة الله تعالى، ولديمومة الأعجاز في هذه الحجة بين مواقف وكلمات المنتخب الرباني، أي الإمام الحسين والإمام زين العابدين عليهما السلام كقائدين للحق في هذه الواقعة العظمى، ومواقف وكلمات صدرت من نخبة طيبة من جمع من الناس لم يتميزوا إلا بتحقيقهم كمجتمع درجات عليا من الإستجابة المخلصة للقيادة الإلهية المعصومة، ومن المدى الأمثل لخطواتها المستقيمة وحدودها التامة، وبمقدار ما تستوعبه طاقات الفرد ضمن توجهاته وطاقاته، إذ صدر ما قالوه وما فعلوه بمرأى ومسمع الإمام الحسين والإمام زين العابدين عليهما السلام وتقريرهما، وتحقيق أصحاب الحسين عليه السلام لتلك الدرجات الرفيعة من الاستجابة لحجة الله تعالى، وهذا المدى المطلق للاستقامة في خطها هو الذي جعل هؤلاء النخبة كأفراد وجماعة هم الميزان الواضح لخط التشيع لأهل البيت

ﷺ في عالمي الفرد والمجتمع إذ كانوا هم الفيصل ما بين عصرين: **عصر ما قبل يوم عاشوراء** حيث الضبابية والغموض في حدود هذا الخط، بالرغم من وجود أبدال الصحابة والمخلصين الذين ينتمون إليه. و**عصر ما بعد عاشوراء** حيث استبانت بكلماتهم ومواقفهم جميع الحدود، واتضحت المعالم دون أدنى غموض، ولهذا كانوا هم المورد الأجلى لكل ما قدمه الأئمة المعصومون ﷺ في بيان هذا الخط وبلورة حدوده.

ونشير أيضاً إلى نقطة مهمة أخرى، وهي أن هؤلاء الأصحاب الأزكياء هم الذين أقاموا بمواقفهم وكلماتهم أوضح الدلائل للبشرية كافة، ودون أدنى ضبابية أو تشويش على واقعية الرسالة المحمدية ذاتها، وعلى قدرة الإنسان كفرد وكمجتمع وفي مختلف توجهاته وطاقاته على بلوغ الدرجات العليا في تطبيقها، حين يسمو الإخلاص به إلى درجة التجرد للحق والتمحض للحقيقة.

وبهذا فهم قطعوا الحجة، وعلى مدى التأريخ أمام كل من يريد التشدق بأن رسالة محمد ﷺ مثالية الأسس والأحكام، غير ممكنة التطبيق في عالم الإنسان، إذ أنهم أثبتوا أن مجموعة من الناس استطاعت أن تجسد تلك الرسالة وعطاءها في الحياة بالرغم مما كان بين أفرادها من اختلاف في التوجيهات قبل عاشوراء، وما كان بين أفرادها من تفاوت في الطاقات والكفاءات وإدراك لمتطلبات الحياة، وهذا يفسر العناية الربانية بالكثير من مواقف وكلمات هؤلاء الصفوة، إضافة إلى مواقف وكلمات الإمام الحسين والإمام زين العابدين ﷺ، إذ كما شاء الله ﷻ للتاريخ أن يحتفظ بخط وكلمات ومواقف صدرت من الحسين ﷺ في بيان أبعاد نهضته العظمى وأسبابها ودلائل الأنوار الإلهية فيها، لتصبح المعين الأبدي لحجة الله الخالدة فيها.

وكما شاء لهذا التاريخ أن يحتفظ بمواقف وكلمات صدرت من الإمام زين العابدين عليه السلام في قيادته لمتممات هذه النهضة بعد مقتل أبيه عليه السلام، ليعطي لها حيويتها الأبدية، ويقيم بها حجة الله تعالى على الناس كافة وليكسبها من المدد والخلود ما يسمو بها على كل الحدود التي الفتها العصور وعلى امتداد التاريخ

أقول: كما شاء الله تعالى للتاريخ أن يحتفظ بخطب وكلمات ومواقف صدرت من هذين المعصومين عليهما السلام بالرغم مما عهد لكتابة التاريخ من خضوع للعتاة الذين يسعون إلى طمس معالم الحق في مواطنه كذلك شاء الله تعالى لهذا التاريخ أن يحتفظ بمواقف وكلمات وخطب صدرت من اهل بيت الحسين عليه السلام ومن أصحابه لتتخذ وكما اشرت في اكتمال المعالم التي ارادتها العناية الربانية لكربلاء الحسين عليه السلام وتحقيق الغايات الإلهية فيها.

وتتضح معالم هذه الميزة العظمى مع الالتفات إلى مفهوم الحجة الإلهية ذاتها في الإسلام وإلى شرائطها الدقيقة فيه، فالحجة الإلهية في هذا الدين الحنيف وحسب الرؤية التي يقدمها أهل البيت عليهم السلام، إنما هي شأن إلهي خاص، لا تضفيها العناية الربانية إلا لمن اصطفاه الله تعالى لهذه الغاية فحسب، حيث تمت له شرائط هذا الإصطفاء دون سواه، وإن سما في سلم الكمالات الإنسانية علماً وورعاً وتقوى ورابطة بمعين العصمة.

ومن هنا كانت الحجة في دين الله تعالى: هي قول المعصوم أو فعله فحسب ومن هذا الفعل تقريره الواضح لفعل أو كلمة تصدران من غيره، في الوقت الذي يمكنه مثل هذا التقرير، فهو بهذا التقرير يعطي سمة الحجية لتلك الكلمة، وذلك الفعل اللذين أقرهما من غيره، أما دون ذلك فلا يدخل أي موقف أو كلمة يصدران من أحد من الناس في عداد هذه الحجة مهما بلغ هذه الإنسان

رفعة وسمواً.

ولهذا فحيث شاءت الحكمة الإلهية لمواقف وكلمات أولئك الصفوة الأزكياء من أهل بيت الحسين وأصحابه ﰈ، أن تنال في حجة الله ﷻ تلك الدرجات العليا التي تمتد إلى جميع الآفاق والآباد التي رسمتها لكربلاء الحسين ﵇، وحيث أقرها الحسين ﵇ في حياته، ومن الإمام السجاد ﵇ بعد مقتل أبيه ﵇، فمن الطبيعي أن تخصها برعاية خاصة تؤهلها للإرتفاع إلى هذا المستوى الذي أرادته هذه العناية لها، لاستحالة أن تتفاوت حكمة الله ﷻ في شأن من شؤونها، كما هو واضح، وهذا ما لو يتوفر لغير هؤلاء الأزكياء من أهل بيت الحسين ﰈ، وصحبه النجباء بهذه السعة والمجالات التي أعطيت لهم.

نعم؛ قد نال أفراد أبدال من صحابة المعصومين ﵇ عنايات خاصة، منهم في فعل من أفعالهم، أو في كلمة من كلماتهم، ليقرونهم عليها فيكتسب ذلك الفعل، أو هذه الكلمة بهذا التقرير درجة الحجية في مجالها الخاص، وهذا ما زخرت به كتب الحديث، ولكن التوفيقات الربانية للوصول إلى بعض حقائق الدين الحنيف والتعبير عن شيء منها أمام المعصوم ﵇ تقتصر عند الحدود فحسب.

ولكن أن تصبح أفعال وأقوال مجموعة من الناس مظاهر وتجليات لحجة الله ﷻ في كل ما استعرضوه بمرأى ومسمع المعصوم ﵇ في ذلك اليوم الخالد، سواء كان من شؤون العقيدة أم من زكي الأخلاق أم من الرؤى والأفكار العامة لرسالة محمد ﷺ وخصائصها الأخرى، أم من الأهداف التي قصدها الحسين ﵇ في كربلائه العظمى الأبدية الخالدة، ودون استثناء أو قصور، كل هذا بالرغم مما كان لكل منهم من تاريخ خاص قبل يوم

كربلاء، وما كان له من مواقف قد تكون سلبية من الحسين عليه السلام، ومن الدين الذي يحمل الحسين عليه السلام رسالته...

أقول: ولكن أن تصبح أفعال وأقوال مجموعة من الناس مظاهر، وتجليات لحجة الله تعالى بذلك المدى الذي قلناه، وبالرغم من هذا التاريخ المتفاوت من المواقف، كل ذلك ما كان ليحصل أبداً بدون رعاية إلهية خاصة تكفل استقامة الحق في دينه وفي حجته الأبدية في الأفق الشخصي لكل فرد من أفراد تلك المجموعة، وفي الأفق الجمعي لها كمجتمع أيضاً، لأن هذه الدرجة مما يستحيل بلوغها بجهد إنساني محدود، وإن بلغ من الرفعة والخلوص إلى الله تعالى بدرجات عليا، إذ أن لحجة الله تعالى شرائطها الخاصة التي يسمو على حدود ذلك الجهد الإنساني المحدود.

وأرجو أن لا يتصور أحد بأني بكلماتي هذه أساوي بين هؤلاء النجباء والمعصومين عليهم السلام في الحجية، أو في منشئها كلا... أبدا، فالحجة في المصطفى الإلهي المعصوم عليه السلام، وفي كلماته، وفي كل ما يصدر منه، شأن ذاتي خاص يقتضيه نفس الاصطفاء الإلهي له، ومن أجل تحقيق هذا الغرض، ومن أجل التحفظ على شرائط هذه الحجية، كانت الرعاية الإلهية له شاملة لكل أفق من آفاق وجوده وحياته، وحين تتطلبه الحدود التي يريدها الله تعالى فيه، أم في غير المعصوم، فالحجة إنما تتأنى لشيء من مواقفه وأقواله من حيث يردها تقرير المعصوم عليه السلام، وشتان بين الدرجتين.

بمعنى أن ما تكسبه كلمات ومواقف بعض أصحاب المعصومين عليهم السلام أو غيرهم من درجات الحجية، إنما هو لكونها قد حصلت بإقرار من أولئك المعصومين عليهم السلام، وليس بسبب شيء آخر يعود إلى ذوات الدين قالوها أو فعلوها،

إذ لم يرد عليهم الأصطفاء الإلهي، ولهذا؛ فهم بالرغم من سمو بعضهم في سلم الكمال الإنساني، يفتقدون هذا العنصر الأساسي من عناصر الحجية، لأنه كما نعلم مقتصر على ذويه من النجباء فحسب، والله ﷻ أعلم حيث يجعل رسالته.

وهذه النقطة بالذات تفسر لنا طبيعة العناية الإلهية الخاصة التي تستلزمها طبيعة الحجية التي نعنيها في كلمات ومواقف وأفعال أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، وكما اشرنا اليها:

الاصطفاء الإلهي: أن يجعل من ذوات المنتجبين عليهم السلام حجة لله على البشرية بشكل مطلق وبكل ما يصدر منهم، وعلى أي حال يكونون عليها، وفي أي مدى يراد منهم، فمن الطبيعي حينئذ أن تمتد هذه العناية الربانية الخاصة إلى اعماق وجودهم وحياتهم وإلى المنطلقات التي تعتمد عليها وأقوالهم كافة، ليكون العلم التام بحقائق الرسالة ومستلزماتها في كل من عالمي الغيب والشهادة، ولتكون العصمة التامة لهم في القول والعمل، وعلى أي حال يكون عليها المنتجب هما بعض شرائط هذه الحجية، وبعض تلك العنايات الإلهية الخاصة فيهم، أما حين تقتضي مشيئة الله أن تجعل موقفاً من مواقف شخص آخر غير معصوم، أو كلمة من كلماته في عداد حجيته ﷻ بتقرير من المعصوم عليه السلام، فطبيعي أن يكون هذا الموقف بمفرده أو كلمة وحدها هي مورد تلك العناية الربانية الخاصة، لئلا يختلف ذلك الموقف، ولا تلك الكلمة عن شرائط تلك الحجية، وفي الحدود التي اقتضتها مشيئة الله ﷻ فيها.

والأمر نفسه حين تقتضي تلك المشيئة الربانية، أن ترقى بمواقف مجموعة من الناس إلى هذه الدرجة، إذ لابد أن تتجاوز العناية الربانية الكيان الشخصي لكل فرد من أفراد تلك المجموعة إلى الكيان الجمعي كله، لتستقيم فيه حجة الله

ﷻ، فلا قصور ولا اختلاف.

وهذا ما يبرز بالفعل في كربلاء الحسين عليه السلام حين اقتضت مشيئة الله أن يقف الحسين عليه السلام موقفه الخالد في هذه الواقعة العظمى، وحين اقتضت أن تشرك أهل بيت الحسين وصحبه رضي الله عنهم كأفراد وكجمع في هذا الموقف ليتخذوا دورهم فيه على أساسين متكاملين، وحين اقتضت الحكمة الربانية أن تجعل كربلاء الحسين عليه السلام في أبعادها الثلاثة كلها إتماماً لرسالة محمد صلى الله عليه وآله وإكمالاً لحجتها، ورافعة لمنارها إلى الأبد.

ولهذا فمن يدرس الكلمات والمواقف التي خلدها التاريخ من هؤلاء الصفوة، يرى العناية الإلهية ويرى التسديد الرباني الخاص في كل كلمة صدرت من كل منهم في ذلك اليوم الخالد، وفي كل موقف اتخذه فيه، مع غض النظر عما كان يحمله من كفاءات وقابليات علمية وفكرية وخلقية وغيرها... بل ومع غض النظر عما كان موقفه قبل موقف كربلاء تجاه الدين وتجاه حجته. فمن يتبع تاريخ أصحاب الحسين عليه السلام يجد أن بعضهم كان من أوائل الذين خرجوا لقتاله كالحر بن يزيد الرياحي، وكان آخرون ممن لا يؤمنون بالإسلام أساساً إذ كانوا على دين آخر مثل وهب الكلبي الذي كان نصرانياً، كما يجد أن البعض منهم في كل بساطة التفكير بدرجة لا تتجاوز الإدراك لبسائط العيش، مثل جون مولى أبي ذر.

ومع هذا كلة نرى أن الارتفاع في الكلمات والمواقف قد بلغ في كل منهم إلى درجة تجاوزت أي خلل عقائدي أو خلقي أو سلوكي أو حتى فكري مما بني عليه كيان الإسلام ذاته في تصوراته العامة، مع بساطة فطرية في التقديم استوعبت البصائر الإنسانية في إقامة حجة الله ﷻ عليها في المواقف والكلمات التي خلدها التاريخ مما صدر من هؤلاء النجباء في واقعة الطف.

ومن البديهي أن مثل هذه الدقة والاستقامة والشمولية في إقامة الحجة الإلهية ما كان ليحصل أبداً، بدون تلك العناية الربانية الخاصة التي استحقها أولئك الأبدال في ذلك الموقف الخالد - كما قلت - وكشاهد على هذه الناحية نقف معاً على بعض النماذج التي توضح النقطة التي أشرنا اليها، ولنغض الآن عما ورد عن زينب الكبرى عليها السلام وعن علي الأكبر وأبي الفضل العباس عليهما السلام وعن غيرهم من أهل بيت الحسين عليهم السلام، كما نغض عما ورد عن أمثال هؤلاء مثل حبيب بن مظاهر الأسدي وبرير بن خضير وأشباههما من أبدال صحابة الحسين النجباء رضي الله عنهم.

أقول: لنغض عن أمثال هؤلاء لما قد يقوله قائل: إنهم إنما وصلوا إلى الدرجة نتيجة لمعاشرتهم للمعصومين عليهم السلام، واكتسابهم للعلم في فيوضهم المباشرة، وإن كان للمناقشة في هذه المقولة مجال واسع.

إذ وكما أشرت سابقاً، أن بلوغ الكلمة أو الموقف إلى درجة الحجية غير ممكن أبداً بدون عناية ربانية خاصة، لكونه وراء القدرة البشرية العادية، وإن كانت في أرفع صورها، ومن المستحيل أن تقر العصمة كلمةً أو موقفاً لتكسبه الحجية، ما لم تضَمن فيه غايات الحكمة الربانية في الخلق والتسريع معاً.

وليكن وقوفنا هنا أولاً عن الحر بن يزيد الرياحي قائد أول راية خرجت لحرب الحسين عليه السلام والمجعجع به وبمن معه من عياله وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، عن الذهاب يميناً أو شمالاً في أرض الله العريضة، حتى أنزلهم أرض كربلاء ليجري عليهم ما جرى، ولنقارن بين ما قاله وما فعله قبل توبته للإمام الحسين عليه السلام، وما ورد عنه قبل هذه التوبة وقبول الحسين عليه السلام لها ليرى طبيعة العناية الإلهية التي استحقها، والتسديد الرباني الذي واكبه في كل خطوة خطاها، حتى استشهاده رضي الله عنه، فهو قبل توبته لم يكن غير ذلك العبد الذليل الخاضع لسيده

العاتي المتغطرس والخانع الذي لا يملك من إرادته وأمره شيئاً إلا تنفيذ ما أمر به.

إذ ليس لديه من حجة الإمام الحسين عليه السلام حينما أخبره بمكانة أهل الكوفة له، إلا أن يقول له: (فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقتادك إلى عبيد الله بن زياد)، هذا كل ما في الأمر. أما العقل الذي يُمَيِّز بين سيد شباب أهل الجنة بنص الرسول صلى الله عليه وآله والدعي بن الدعي عبيد الله بن زياد بمعلم جميع المسلمين، فلا وجود له كما يبدو.

ويتمادى في هذا الخط ليؤكد أن للحسين عليه السلام: أريد والله أن ننطلق بك إلى عبيد الله بن زياد، حتى يضطر الحسين عليه السلام إلى القول: **(إذن والله لا أتبعك)**، ليجيبه الحر: (إذن والله لا أدعك)، فترادا القول ثلاث مرات، ولما كثر الكلام بينهما قال الحر: (إني لم أؤمر بقتلك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك).

نعم؛ هذا الخنوع وهذه الذلة والإنقياد الأعمى للضلال وأئمته، هي كل ما كان الحر يملكه حينها من سمة الرجولة، ومن أجله سخر كل طاقاته وقابلياته التي أصبح بها ذا مركز قيادي في المجتمع، ولهذا لما ورد إليه كتاب عبيد الله بن زياد بجعجعة الحسين عليه السلام في العراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، قال الحر: (هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره)، وهكذا كان.

أما بعد توبته الصادقة وانضمامه إلى ركب الحسين عليه السلام، فالأمر يختلف معه تمام الإختلاف، بل هو يتجاوز المكان والزمان وكل الحدود الإعتيادية للإنسان إلى حيث يخاطب البشرية كلها في مواقفه أمام ملأ أهل الكوفة، ليقول:

(يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر إذ دعوتموه، حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجه إلى بلاد الله العريضة، حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً، وحلأتموه زنساءه وصبيته عن ماء الفرات الجاري الذي تشربه اليهود والنصراى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمداً ﷺ في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه... إلى آخر كلماته (رضوان الله عليه))...

إنها حرية ودعوة إلى التحرر، وإنها استقامة مع أمر الله تعالى، ودعوة إلى هذه الإستقامة، وإنها شعور شخصي بمنة الله تعالى عليه بقبول توبته مع كل ما صدر منه في حق الحسين عليه السلام، وبلورة لهذا الشعور أمام كل من وصلت إليه هذه الكلمات، وإنه بعد هذا وقبله ربط لموقف كربلاء بمحمد ﷺ ورسالته وتقرير للنتائج التي يكتسبها الإنسان في حياته الدنيا والآخرة جراء ما يتخذه من المواقف، ولا أعتقد أننا محتاجون إلى التعليق، فكلمات الحر في هذه القضايا أوضح من أن نحتاج فيها إلى تعليق.

ويتوج هذا الموقف الفردي بموقف أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه مع الحر قبل مقتله وبعده، ليكون ختام ذلك بأبيات قالها علي بن الحسين عليهما السلام في رثائه اذ قال:

لنعم الحر حر بني رياح صبور عند مختلف الرماح
ونعم الحر إذ فادى حسينا فجاد بنفسه عند الصباح

ونستتبع الوقفة بوقفة أخرى عند علم آخر من أصحاب الحسين عليه السلام هو زهير بن القين (رضوان الله عليه).

حدث جماعة من فزارة وبجيلة قالو: كنا مع زهير بن القين حين أقبلنا من مكة فكنا نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسير معه في مكان واحد، أو ننزل معه في منزل واحد، فإذا سار الحسين عليه السلام، تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين عليه السلام تقدم زهير فنزلنا يوماً في منزلٍ معه فيه فنزل هو في جانب ونزلنا في جانب آخر. فبينا نحن جلوس نتغذى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلم ثم دخل فقال: يا زهير أن أبا عبد الله بعثني إليك لتأتيه. فطرح كل إنسان منا ما في يده، كأن على رؤوسنا الطير كراهة أن يذهب زهير إلى الحسين عليه السلام، فقالت له امراته (وهي ديلم بنت عمرو): سبحان الله أيبعث اليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لا تأتيه. فسمعت من كلامه ثم انصرفت.

هذه هي البداية، وهذا هو توجه زهير حينها، حتى أتى الحسين عليه السلام زهير على كره منه، ولكن ما أن يلتقي الحسين عليه السلام، إلا وانقلبت لديه الصورة، إذ يعود إلى أهله مستبشراً قد أشرق وجهه، لتلتزمه حينها العناية الإلهية الخاصة بكربلاء الحسين عليه السلام، ولتسدده في كل ما يقول وما يفعل. فها هو يجيب الحسين عليه السلام في أحد مواقفه معه بعد حمد الله والثناء عليه: (قد سمعنا هداك الله يا بن رسول الله مقالتك والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك لآثرنا الخروج معك على الاقامة فيها)، ويقول له في موقف آخر: (والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة وأن

الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من اهل بيتك)، وفي موقف ثالث يخاطب أهل الكوفة قائلاً: (يا أهل الكوفة؛ نذار لكم من عذاب الله نذار، أن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد ﷺ، لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فأنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله، ليسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهانئ بن عروة وأشباهه إلى... آخر كلامه (رضوان الله عليه)).

ولا أعتقد أننا بحاجة إلى تعليق، فاستقامة هذه الكلمات مع عطاء العصمة في كربلاء في آفاقه الشاملة والأبدية أوضح من أن تحتاج إلى تعليق، كما لا نطيل بعلاقة زهير (رضوان الله عليه) بسائر أصحاب الحسين عليه السلام، وعلاقته معهم فللتاريخ تفصيلاته القيمة في هذه العلاقة.

ونقف عند هذين النموذجين الكريمين، لنترك البصائر المؤمنة تتعامل مع ما خلدته كتب الحديث والسير والتاريخ من كلمات، ومواقف أصحاب الحسين عليه السلام، لتنهل من معناها الأبدي هدىً ومعرفةً واستقامةً، مع دلائل الحق والخير والجمال وتركن إلى مثلها الخالدة...

السلام عليكم يا ربانيون، أشهد أنكم أنصار الله، ما ضعفتم وما استكنتم حتى لقيتم الله على سبيل الحق ونصرة كلمة الله التامة، صلى الله على أرواحكم وأبدانكم وسلم تسليما، أنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة، أنتم السابقون

والمهاجرون والأنصار، أشهد أنكم قد جاهدتم في سبيل الله وقتلتم على منهاج رسول الله ﷺ، الحمد لله الذي صدقكم وعده وأراكم ما تحبون...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين...

الشعائر الحسينية
وواقع الحال فيها

فضيلة الشيخ محمد الحسون

ابن الحاج رضا ابن الحاج محمد علي ابن الحاج حسون الترك، ولد في مدينة النجف الأشرف سنه ١٩٥٩م ، تتلمذ في مدارسها ثم دخل في كلية الهندسة الزراعية في جامعة بغداد، وبدأ بالدراسة في الحوزة العلمية سنة ١٩٨١م ، فدرس المقدمات والسطوح ثم حضر أبحاث الخارج في الفقه والأصول شارك في المؤتمرات العلمية ولقاء الشخصيات العلمية والقاء المحاضرات، له آثار كثيرة مطبوعة عبارة عن: تأليف كتب، وتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام ، وكتابة مقالات علمية، ومقدمات لبعض الكتب.

لقد أصبحت الشعائر الحسينية من أولى اهتمامات الشيعة الإمامية، لكونها أثراً إيجابياً في استمرار أهداف الإمام الحسين عليه السلام، وبقاء هذا المذهب، وللناس في إقامة هذه الشعائر جهود على صعد مختلفة من إقامة المأتم وتأسيس الهيئات وإطعام الطعام، وما شابه ذلك، ومن الناس من يشارك في المجالس وتذرف عيونه الدمع، وفهم من يلطم، وفهم من يضرب الرأس.

والأصل في كل هذه الأمور هو النصوص الشرعية الواردة في الموضوع، فمنها ما هو خاص، ومنها ما هو عام منطبق عليه. وقد وقع التساؤل بالنسبة الى بعض صور إقامة العزاء على سيد الشهداء عليه السلام منذ قديم الأيام، وأجاب الفقهاء عن تلك التساؤلات واحدةً واحدةً.

ونستطيع القول بأن الشرارة الأولى لتلك التساؤلات هي الصحافة الصادرة في بعض السنين السابقة ١٣٤٦ - ١٣٤٨هـ. ويقول عن (الأوقات العراقية) منير بكر التكريتي في كتابه (الصحافة العراقية) بعد نقله لكلام السيد الحسني المتقدم (وكانت خير أداة للإعلان عن سياستهم وقد لعب المستر جون فلبي السياسي الإنكليزي المعروف دوراً هاماً في تحريرها).

ويقول أيضاً في هذا الكتاب: «حرر فيها السياسي المعروف المستر جون فلبي ولها سياسة معروفة فهي خادمة لأغراض السلطات البريطانية ومروجة لسياسة الحلفاء، وقد استمرت في الصدور إلى احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار ١٩١٧م. وانتقال حكومة الإحتلال إليها إذا ذاك أعطيت بطريقة الإلتزام إلى أحد وجوه البصرة السيد سليمان الزهير وقد استقدم لها محرراً من مصر...».

وقفة مع صحيفة الاوقات العراقية

يقول السيد عبد الرزاق الحسني (ت ١٩٩٧ م) في كتابه (تاريخ الصحافة العراقية) تحت عنوان: الجرائد التي صدرت بعد الاحتلال البريطاني للبصرة كانت سياسية: «الأوقات البصرية: لما احتل الجيش البريطاني البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م وضع يده على ثلاث مطابع للأهالي مضافاً الى مطبعة الولاية التي صادرها وأخذ يطبع فيها نشرة يومية باللغتين العربية والإنكليزية عن سير القتال في الشرق والغرب وقد تطورت هذه النشرة الى جريدة يومية سياسية أدبية مصورة يحرر فيها (جون فلبي) وغيره من مروجي السياسة البريطانية ولما شعرت الحكومة المحتلة بضرورة وجود جريدة ثابتة تعبر عن سياستها وتهيئ الرأي العام في البلاد إلى الأحداث المقبلة...».

ويقول رجب بركات في كتابه (من صحافة الخليج): «خلال فترة الإصدار الأول استخدمت حكومة الإحتلال لتحرير الجريدة من غير العراقيين كلاً من: محمد شوقي وعبد الحميد مرعي».

أما العراقيون الذين حرروا في (الأوقات البصرية) فكان منهم: الأستاذ شاكر نعمة والمرحوم الأديب الشاعر هادي الدفتر، ومن كتابها أيضاً المرحوم سليمان فيضي المحامي وعبد الوهاب الطباطبائي.

صحيفة العهد الجديدة البيروتية

في الوقت الذي نشرت صحيفة (الأوقات العراقية) كلاماً للسيد البصري (ت ١٣٥٨ هـ) يدعو فيه الى إصلاح بعض الشعائر الحسينية، في نفس الوقت نشرت صحيفة (العهد الجديدة) التي كانت تصدر في بيروت كلاماً للسيد محسن

الأمين (ت ١٣٧١هـ) يدعو فيه أيضاً لإصلاح بعض الشعائر الحسينية.

قال المؤرخ الشيخ جعفر محبوبة (ت ١٣٧٧هـ)

(وكم له أمام المناوئين للحسين عليه السلام من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينية والمجالس العزائية، ولكنه تمسك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام).

وقال الشيخ محمد هادي الأميني بعد أن حكى قول الشيخ جعفر محبوبة السابق: «شوهد هذا الشيخ الكبير على ضعفه وعجزه أمام الحشد المتجمهر للعزاء، يمشي وهو يضرب على صدره، وقد حل أزراره وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطبل، ومن آثاره إقامة المأتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أول ما أقامه هناك، وعنه أخذ حتى توسع فيه، ووصل الى حده اليوم».

هذا ولا بد من التنبيه على أن المسائل العقائدية والفقهية وغيرها بين العلماء، وقد يخترقها بعض الآراء الشاذة، ولكي تلك الآراء لا تؤثر في اعتقاد الناس وأعمالهم، طالما يكون الفقهاء في كل عصر محافظين على العقيدة والأحكام وموجهين للأمة نحو الصلاح والتقوى.

إلا أنا نؤكد على أن اصحاب الآراء الشاذة في كل باب إن كانوا علماء أتقياء وفقهاء أبرار فإن القول الشاذ لا يبرر لنا التهجم غير العلمي والكلام غير المتين ضدهم، بل إنا نستغفر لجميع علمائنا ونحترم ونطلب لهم من الله المقام الشامخ والمنزلة الرفيعة...

Studies and Researches

The Eighth Cultural and International Spring Martyrdom Festival